الصّراط

الرقم الـ ١٤٥ ربيع الثاني ١٤٤٨

الأدلة الفلسفية على الغريزة الدينية

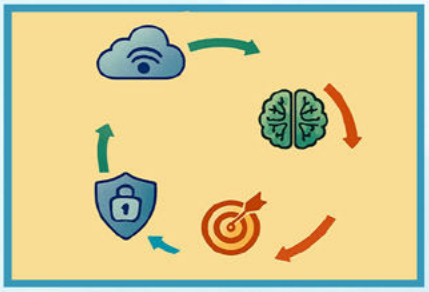

التحصين الأسري في عصر الفضاء الافتراضي

آخر الزمان، نهاية العالم

قال الحسن بن علي العسكري عليه السلام:
«إنّ الله تبارك وتعالى بيّن حجّته من سائر خلقه بكلّ شيء، و يعطيه اللّغات، ومعرفة الانساب والاجال والحوادث، ولولا ذلك لم يكن بين الحجّة والمحجوج فرق.»

«الكافي»، ج ١، ص ٥١٩، ح ١١.

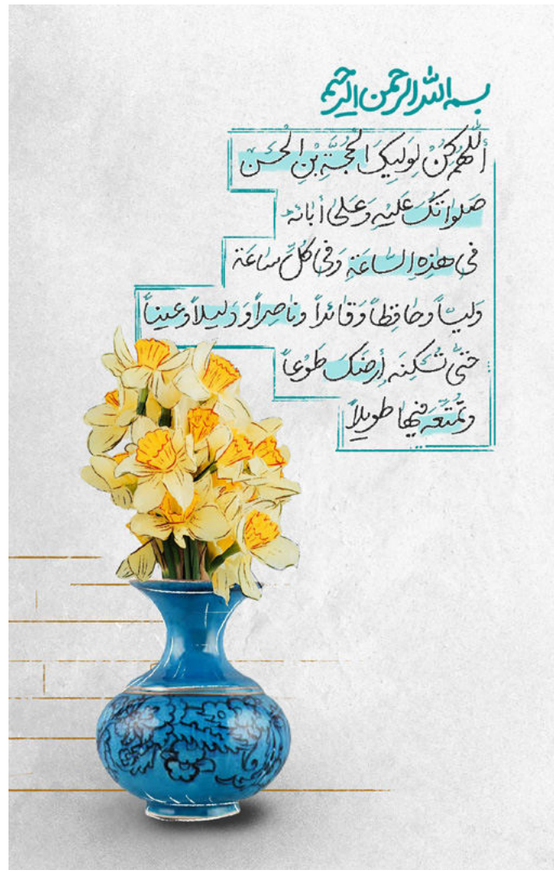

«شهرية صراط الإلكترونية»
إيران – طهران
ص. ب: ١٤١٥٥-٨٣٤٧
فاكس: +٩٨٢١٦٦٤٥٩٠٢٣

البريد الإلكتروني:
email: mouoodasr@gmail.com

المواقع:
www.mouood.org
https://www. facebook.com/mouood.org

الفهـرس

منوعـــات

عوالم الإنسان ومنازله: عالم الأرواح / ٤
الشعر والأدب: نشيدة الثأر المقدّس / ٦
وظيفة الدين في الحياة: الأدلة الفلسفية على الغريزة الدينية / ٨
معجزات القرآن: نصر الروم على فارس / ١١

الدراسات الثقافية

الفكر، الثقافة و الأدب، الحضارة: مصدر الرد على التساؤلات / ١٢
الاستعمار في مرآة التاريخ (الجذور، الآليات، الآثار) - باب الاول - الحاضر والتاريخ: دور السياسة والفكرة / ١٣
خفض أضرار الإعلام والفضاء الافتراضي داخل الأسرة: التحصين الأسري في عصر الفضاء الافتراضي - القسم الثاني / ١٦
فرسان الهيكل وأسس الماسونية - الأسس والمبادئ الفكرية والعقائدية للماسونية: صياغة النظام التأسيسي / ١٨
البيت والآسرة - مراحل التربية: مرحلة الطاعة / ٢٠

الدراسات المهدوية

دعوي السفارة - مفهوم الغيبة بين الافراط والتفريط: حقيقة الغيبة والظهور / ٢٢
التعاليم المهدوية - الظهور وآخر الزمان: آخر الزمان، نهاية العالم / ٢٤
إلى اللامتناهي - الخريطة الإلهية العامة: ضرورة خفض الغيبة / ٣٠
الامام المهدي عليه السلام و مستقبل العالم: خصائص أنصار الامام المهدي عليه السلام / ٣٦
تكاليف الأنام في غيبة الإمام عليه السلام: التوسّل والإستشفاع بالامام عليه السلام / ٣٩

الحيــاة الإيمانيــة

المستبصرون: معظّم عليّ معظّم / ٤٠
الحقوق الاجتماعيه في الاسلام - الحقوق الاجتماعية ذات الصبغة الأخلاقية: حق الأخ / ٤٢
على مائدة الكتاب والسنّة - الوحدة حول مائدة الكتاب و السنّة: ما جاء عن أهل البيت عليهم السلام في موضوع المكان والحركة والانتقال لله / ٤٣
حلية المتّقين: التزيين بالذهب و الفضة للنساء و الأطفال / ٤٥
الولد و الوالد: برّ الوالدين - القسم الاوّل / ٤٦

الدراسات الشيعية

الحياة الفكرية و السياسية لائمّة اهل البيت عليهم السلام - اهل البيت عليهم السلام: الامام علي عليه السلام: سياسة الامام / ٤٨
المقام الغيبي في الامامة - الامامة في القرآن الكريم: آيات الهداية / ٥٣

حقيقة تحضير أرواح الموتى

غالب من يدعي تحضير الأرواح والقدرة على ذلك – حسب بعض التجارب وحسب بعض المتضلعين من أهل المعنى والعلم – هو في الحقيقة تحضير للجن، والمحضر يحسب أنه أحضر أرواح المؤمنين. وربما يحضر من الجن من يعلم الصغيرة والكبيرة عن الميت، وبالتالي يظن المستمع الجالس في تلك الجلسة التي يتم فيها التحضير أن إجابات ذلك المجيب ربما دقيقة وصحيحة، وبالتالي فهي صادرة من روح المتوفاة، لأنها تفيد كل الخصائص الخفية للمتوفى، وليس هناك عامل جسمي وحسي يجزم به.

وإن كان بعض متضلعي أهل المعنى يصر على صدقيته في بعض الموارد، نظير ما يحكيه **العلامة الطباطبائي** لبعض تلاميذه من أساتذتنا، أن أخاه **السيد حسن**رحمه الله كانت لديه القدرة على تحضير الأرواح أو الارتباط بأرواح العظماء من العلماء ومشابه ذلك. فعلى أية حال، هذا ليس ممتنعاً.

والارتباط بأرواح الموتى يثبته علماء الغرب أيضاً، بأنه عبر التخاطر ونوع من الارتباط الموجي بالذبذبات الشفافة الروحية بين روح الحي وروح الميت، وهذا ليس مستنكراً وقابلاً للتصوير، نظير ما نقرأه في زيارة الرسول صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام: **«وإنك حجبت عن سمعي كلامهم وفتحت باب فهمي بلذيذ مناجاتهم.»**[1]

فهناك نوع من الارتباط بين أرواح الأحياء وأرواح الموتى، ولكن من هو الذي يستطيع أن يحضر ويرتبط، هذا هو أمر آخر. وكثيرون من أهل النصب والحيل والدجل، وكثير ممن يدعون أنهم أحضروا الموتى، يكون قد أحضر الجن.

اشتراط القوة الروحية في المحضِر

لا ريب في أن الروح المحضِرة لا بد وأن تكون لها درجة وماشابه ذلك، والحضور نوع من الصلاحية لروح الميت، والمكنة لا تعطى لكل أحد. ومن ثم، هذه الإمكانية من الارتباط بأهل البرزخ لا ريب أنها لا تعطى إلا لذوي القدم الراسخ من أهل التقوى واليقين. وأما أحاد الناس ممن هم في سلوك اعتيادي والتزام ديني هابط، فلا ريب أنه ليست لديه القدرة والمكنة على تحضير الأرواح، وإنما هو تحضير جن.

كون المحضِر مسخراً للجن من حيث لا يشعر

قد لا يكون لدى المحضِر اطلاع والتفات، إلا أن الجن المحضَر ربما يكون قرين الميت، مما يعرف خفايا كثيرة عن الميت ويجيب بإجابات دقيقة ومتقنة، أو يكون على اتصال بالقرين. وهذا المقدار لا يدل على أن الذي حضر هو روح الميت، وإنما هو قرينه من الجن. بل بعض الجن ممن لديهم قدرات تكوينية أخرى قد يطلعون على ما يطلع عليه القرين وبالتالي يخبرون به.

إمكانية تحضير الأرواح في أصلها

المقصود من الحضور ليس هو تنشئها نشأة دنيوية، وإنما نوع من ارتباطها بأهل الحياة في هذه النشأة في موضع معين وما شابه ذلك. فالأمر ليس ممتنعاً من حيث الإمكان، وإنما الإشكال في طريقة التحقق والصدق.

عدم حجية الأجوبة المأخوذة من الأرواح

في الحقيقة، هذا الارتباط وهذه القناة ليست فيها حجية بتاتاً. بل إن نفس الميت – على أية حال، ومهما تصاعد شأنه – ليس معناه أن الارتباط به أيضاً هو ذو موقعية بحيث يؤخذ بأقواله، وإن كان الميت في البرزخ ومهما وصل في مقامات العدالة والتقوى، فإن ذلك يغاير الحجية.

نعم، قد تكشف له أشياء قد لا تكشف للأحياء، لكن ليس في مداليل كلامه وفيما يدلي به حجية بقول مطلق، وإنما هو نوع من البشائر والنذارة، ولا يعول عليه كحجية. بل إن الارتباط الروحي في الرؤيا ونحوها بالمعصوم – مع أنه معصوم – هذا الارتباط لا يعول عليه كحجية، لأن ارتباط غير المعصوم به عبر قناة الرؤيا وعبر قناة المشاهدة، تلك القناة باعتبارنا نحن غير معصومين، وطريقة تلقينا ليست تلقي المعصومين، فلا يعول عليها، وإنما تكون قيمتها قيمة منبه ومبشر ومنذر. وهذا منبه إلى ما لدى الإنسان من إدراك عن الواقع من حقيقة، يتعامل ويلمس ويتعاطي معه بما له من حدود وحقيقة.

مورد الاستناد في تحصيل اليقين

هي تورث اليقين ولكن استناداً إلى أمور أخرى، ويرجع الأمر إلى الموازين العامة التي يستند إليها الإنسان في كل أموره من الكتاب والسنة والعقل وما شابه ذلك.

الهامش:

١. «المصباح» للكفعمي، ص ٦٠٥.

المصدر: السند، الشيخ محمّد، «عوالم الإنسان و منازله، العقل العملي و قضاياه»، بيروت، دار الامیرة، الطّبعة الأولى، ٢٠١٠م.، مع تصرف يسير.

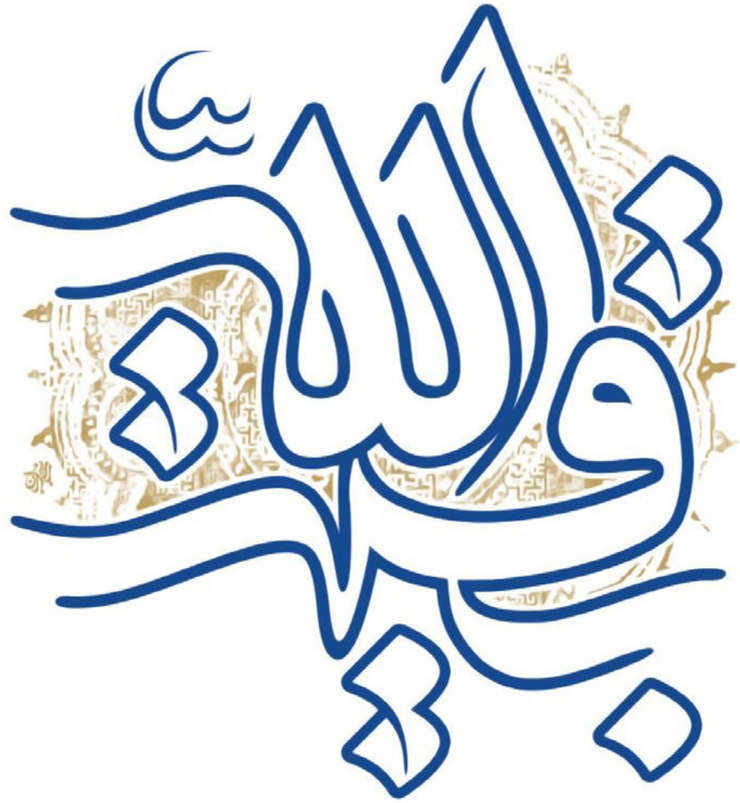

نشيدة الثّأر المقدّس

قصيدة للسيد حيدر الحلي يخاطب فيها الإمام المهدي عجل الله فرجه. هو من أشهر شعراء أهل البيت عليهم السلام توفي بالحلة عام ١٣٠٤ للهجرة و دفن ب«النجف الأشرف». ديوانه مطبوع.

مات التصبُّر في انتظارك أيّها المحيي الشّريعة
فانهَض فما أبقى التحمّل غير أحشاء جَزوعة
قد مزّقت ثوب الأسى وشكت لواصلها القطيعة
فالسيف إنّ به شفاء قلوب شيعتك الوجيعة
فسواه منهم ليس ينعش هذه النفس الصريعة
طالت حبال عواتق فمتى تكون به قطيعة
كم ذا القعود ودينُكم هُدمت قواعده الرّفيعة
تنعى الفروع أصولَه وأصولُه تنعى فروعه
فيه تَحكَّم من أباح اليوم حوزتَه المنيعة

من لو بقيمة قدره غاليتُ ما ساوى رجيعة
فاشحذ شبا عضب له الأرواح مذعنةٌ مطيعَة
أن يدعُها خفّت لدعوته وإن ثقلت سريعة
واطلب به بدم القتيل بكربلا في خير شيعة
ماذا يهيجك إن صبرتَ لوقعَة الطفّ الفضيعة
أترى تجيءُ فجيعة بأمضّ من تلك الفجيعة
حيث الحسين على الثرى خيل العدى طحنت ضُلوعه
قَتَلَتهُ آل أمية ظام إلى جنب الشريعة
ورضيعُه بدم الوريد مخضّبٌ فاطلُب رضيعه
وا غيرة الله اهتفي بحميّة الدين المنيعة
وضبا انتقامك جرّدي لطلا ذوي البغي التليعة
ودعي جنود الله تملأ هذه الأرض الوسيعة
واستأصلي حتى الرضيع لآل حرب والرضيعَة

الأدلة الفلسفية على الغريزة الدينية

بيّنا تعريف الدين لغة و تعريف الدين عند الغربيين و استعماله الشائع و تعريف الدين عند علماء المسلمين و قلنا المفهوم الصحيح للدين الذي استعمله القرآن الكريم و خصائص العقيدة الدينية و هنا نريد أن نقول:

التدين فطرة في الإنسان، وهو جزء من كيانه و وجوده، مثل بقية الغرائز التي تتكون منها النفس منذ خلقت البشرية،

وحتى تقوم الساعة، كغريزة الجنس وحب البقاء والطعام والشراب، وأن التخلي عن إحدى الغرائز شذوذ وانحراف

بالفطرة والإنسان، وهذا الانحراف والشذوذ متوفر في بعض الناس لتأكيد صفة النقص، وأن الكمال الله وحده، ولأن النفس مجبولة من الطين أو الشهوة ومن الروح، وإن الإنسان جبل في الأرض ليتطلع إلى السماء، فإن ظهر الإلحاد أو الكفر أو الانحراف عن الدين، فهذا دليل على جنوح الإنسان إلى الأرض والشهوة، ودليل على بعده عن الروح والسماء، أي هو تغليب الجانب على جانب في حياته، أو هو إعمال الشطر واحد في فطرته وإهمال للشطر الثاني.

الأدلة الفلسفية على الغريزة الدينية

يستدل علماء الأديان والاجتماع والفلسفة على كون التدين فطرة بالاستقراء والاستنتاج للكشف عن بواعث التدين الفطرية، ويمكن إيجازها بما يلي:

١. إن نزعة التدين ظهرت من غريزة التطلع إلى الغيب ومحاولة معرفة الحقيقة الرابضة وراءه، وعدم الوقوف عند حدود الواقع الحسي، والعودة إلى التأمل في المسائل الأزلية: لم خلق الإنسان؟ ومن خلقه؟ ولم خلق الكون؟ ومتى؟ ومن خلقه ؟ وما هو مبدأ الإنسان؟ وما هي غايته وهدفه ؟ وإلى أين يسير ؟ وما هي نهاية الكون؟ وما هو مصير الإنسان؟ وماذا بعد الموت ؟ وغير ذلك من الأسئلة التي تدفع الإنسان إلى الإيمان بالله، وإلى البحث والنظر والسعي والعلم والاكتشاف، وهذا التطلع والتأمل في هذه القضايا الغيبية كانت ولا زالت وستبقى الشغل الشاغل للإنسان ويريد الوصول إلى اليقين أمام مشكلات الكون الكبرى، مهما تقدمت به المدنية وتعددت الاكتشافات، وترقى العلم، لأن العلم عاجز قطعاً عن الإجابة عن هذه الأسئلة، وأنه مقيد بكشف نواميس الكون دون أن يغير منها شيئاً، وأن مجاله محدد في النواحي المادية التي وضعت تحت حواسه. يقول **سانت هيلير**:

هذا اللغز العظيم الذي يستحث قولنا: ما العالم ؟ ما الإنسان؟ من أين جاءا؟ من صنعهما ؟من يدبرهما ؟ ما هدفهما ؟ كيف بدءا؟ كيف ينتهيان؟ ما الحياة؟ ما الموت ؟ ما القانون الذي يجب أن يقود عقولنا في أثناء عبورنا في هذه الدنيا؟ أي مستقبل ينتظرنا بعد هذه الحياة؟ هل يوجد شيء بعد هذه الحياة العابرة؟ وما علاقتنا بهذا الخلود؟ هذه الأسئلة لا توجد أمة، ولا شعب، ولا مجتمع، إلا وضع لها حلولاً جيدة أو رديئة، مقبولة أو سخيفة ثابتة أو متحولة...[١]

٢. العجز في الإنسان وحاجته إلى قوة جبارة تنقذه من المهالك وتعينه وقت الشدة، ويستغيث بها وقت الضيق،

فتنجده وتخرجه من المازق، وتقدم له العون عند الحاجة، وهذا العجز موجود في كل نفس، ويلمسه الإنسان في نفسه، ويسمعه من غيره. سأل رجل الإمام جعفراً الصادق عليه السلام عن الله فقال: **ألم تركب البحر؟** قال: «**بلى**»، قال: **فهل حدث لك مرة أن هاجت بكم الريح عاصفة؟** قال: «**نعم**»، قال: **وانقطع أملك من الملاحين و وسائل النجاة؟** قال: «**نعم**»، قال: **فهل خطر في بالك وانقدح في نفسك أن هناك من يستطيع أن ينجيك إن شاء؟** قال: «**نعم**»، قال: **فذلك هو الله.**

هذا الشعور النفسي بوجود المنقذ من الهلاك، والمنجي من الهم والغم والحزن والكرب، إما أن يبقى مع الإنسان فيكون مؤمناً، وإما أن يتنكر له، ويجحد هذا الفضل، ويعرض عن ربه فيكون كافراً وملحداً وضالاً، وقد صور «القرآن الكريم» في آيات كثيرة، ومواطن مختلفة هذه النماذج من النفوس، منها:

– «**هو الذي يسيركم في البر والبحر، حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاء هم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين، لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين، فلما أنجاهم إذا هم يبغون في الأرض بغيرالحق**»[٢]

– «**وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا**»[٣]

– «**وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ...**»[٤]

–«**وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ * ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ * لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ ۚ فَتَمَتَّعُوا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ * وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ ۗ تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ**»[٥]

– «**أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ * أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَٰهٌ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ**»[٦]

– «**قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ * قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ**»[٧]

هذه الآيات الكريمة تكشف هذا الإحساس النفسي الباطني عن عجز الإنسان، وتذكر بعض الصور الدقيقة التي مهرب منها لكل فرد من إقراره بالعجز، والتجائه إلى القوى الغيبية الخالقة المبدعة التي تتصرف بالكون يلجأ إليها لتنقذه من المهالك، ويستنجد بها في أحلك الظروف للنجاة، ويعطي الوعود والعهود بالتوبة والإنابة والطاعة والخضوع، ثم لا يلبث أن ينسى حاله، وينقض وعده، وبيته في غيه وضلاله إلا من رحم ربك، وأعمل عقله، واحترم نفسه، وفكر في ماضيه وحاضره ومستقبله، فهو على العهد باق، وبالعقيدة والإيمان بالله ملتزم.

يقول الأستاذ **محمد قطب**:

يحس الإنسان بالعجز إزاء الكيان الكوني من حوله، يبدأ العجز من لحظة الميلاد ويستمر إلى لحظة الموت، ولا ينقطع فيما بين الميلاد والموت، وإن كان يأخذ صوراً مختلفة في كل سن وكل طور من أطوار النمو الجسمي والنفسي...، ويظل يكبر ويكبر معه العجز حتى يستوي على أشده، وما يزال يحس بالعجز في أكبر مجالاته، العجز عن تحقيق كل ما يريد تحقيقه، والعجز عن معرفة كل ما يريد معرفته، والعجز عن السيطرة على كل ما يريد السيطرة عليه...» ثم يقول: «حقاً إنه يحقق أشياء كثيرة، ويعرف أشياء كثيرة، ويسيطر على أشياء كثيرة، ولكن هذا لا ينفيه، ولا ينفي عن خاطره شعور العجز، فهو يريد أن يحقق كل شيء، ويعرف كل شيء، ويسيطر على كل شيء... وأشد ما يقف أمامه عاجزاً رغبة الخلود، والرغبة في معرفة الغيب الذي لم يحدث.[٨]

٣. ومن دوافع الفطرة إلى التدين الإحساس بالخوف والرهبة أمام هذا الكون العظيم وما يجري فيه، مما يحرك

أحاسيس الإنسان، ويوقظ مداركه، ويدفع عقله – بالغريزة والفطرة – ليبحث عن خالق الكون فيأنس به، ويطمئن

قلبه عنده، ويهدأ روعه وخوفه، ويأمن جانبه، ويعقد أواصر التقرب له، ثم يقدم الطاعة والعبادة العظمته، وهذا هو الدين.

وقد لفت القرآن النظر في آيات متعددة إلى هذا الكون العظيم وما فيه من أجرام ومشاهد ومخلوقات تستحق الوقوف أمامها، ويقف الإنسان عندها مشدوهاً عاجزاً لا يملك حراكاً ولا عطاء، بل جاءت بعض الآيات الكريمة تتحدى مظاهر الكون والطبيعة والإنسان على أن تخلق نفسها أو تخلق غيرها أو تملك النفع أو الضرر لنفسها أو لغيرها. قال الله تعالى:

– «**وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ * أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ * إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ...**»[٩]

– وقال تعالى على لسان **إبراهيم** عليه السلام:

«**إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا**»[١٠]

– «**وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ**»[١١]

– «**وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ...**»[١٢]

– «اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ * وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ * وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ»[13]

ثم قال تعالى: «اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ»[14] و: «هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ * وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ»[15]

– «خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ * هَٰذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ»[16]

– «أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ»[17]

– «وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ»[18]

– «يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ»[19]

ويقول تعالى متحدياً البشر في الخلق والإعادة:

«قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ...»[20]

ولنتأمّل هذه المحاورة مع الكفار في قوله تعالى:

«وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ * قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ»[21]

– «الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا * وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا»[22]

والآيات كثيرة في هذا الخصوص، ولا يقف الإنسان أمامها عاجزاً فقط، وإنما يصاب بالرهبة والخوف والجمود والحيرة لولا ثقته بالله وإيمانه به.

الهوامش:

١. راجع كتاب «الدين»، للمرحوم الدكتور عبد الله دراز، ص ٨٤.

٢. سورة يونس، الآيتان ٢٢-٢٣.
٣. سورة الإسراء، الآية ٦٧.
٤. سورة الزمر، الآية ٨.
٥. سورة النحل، الآيتان ٥٣-٥٦.
٦. سورة النمل، الآيتان ٦٢-٦٣.
٧. سورة الأنعام، الآيتان ٦٣-٦٤.
٨. انظر «دراسات في النفس الإنسانية»، ص ٢١٩؛ «القرآن والطبائع النفسية»، ص ٥٦.
٩. سورة النحل، الآيتان ٢٠-٢٢.
١٠. سورة مريم، الآية ٤٢.
١١. سورة يس، الآيتان ٢٢-٢٣.
١٢. سورة يونس، الآية ١٨.
١٣. سورة الرعد، الآيتان ٢-٤.
١٤. المصدر السابق، الآية ٨.
١٥. المصدر السابق، الآيتان ١٢-١٣.
١٦. سورة لقمان، الآيتان ١٠-١١.
١٧. سورة النحل، الآية ١٧.
١٨. المصدر السابق، الآية ٢٠.
١٩. سورة فاطر، الآية ٣.
٢٠. سورة الأنعام، الآية ٤٦)
٢١. سورة القصص، الآيتان ٧٠-٧٢.
٢٢. سورة الفرقان، الآيتان ٢-٣.

المصدر: محمّد الرخيلي، «وظيفة الدين في الحياة و حاجة الناس إليها»، منشورات جمعية الدعوة الاسلامية العالمية، ١٤٠١هـ.

نصر الروم على فارس

قال تعالى: «غلبتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ »[1]

***

والحادث أن معركة قد حدثت بين فارس والروم، فحقق الجيش الفارسي نصراً ساحقاً بقيادة سابور على الروم واستحلوا أراضيهم وحاصر وهم في القسطنطينية، وكان من المعروف أن الفرس كانوا مجوساً عباداً للشمس والنار، وكان الرومان أهل كتاب، فكان من المتوقع أن يميل المسلمون إلى نصر الرومان كما فعل مشركو مكة مع الفرس، فلما وصل نبأ محاصرة الفرس للروم إلى الجزيرة العربية، شمت أهل مكة بالمسلمين، وقالوا انتصر إخواننا على إخوانكم، فضاق المسلمون ذرعاً ونزلت الآيات.. وما مرت البضع السنين التي أشار إليها القرآن حتى تحول النصر من الفرس إلى الروم وصدق قول القرآن...

فيقول المؤرخ «جيبون» تعليقاً على هذه النبوءة: « في ذلك الوقت حين تنبأ القرآن بهذه النبوءة، لم تكن آية نبوءة أبعد منها وقوعاً، لأن السنين الاثنتي عشر الأولى من حكومة (هرقل) كانت تؤذن بانتهاء الإمبراطورية الرومانية ..»ولكن من المعلوم أن هذه النبوءة جاءت من لدن من هو مهيمن على كل الوسائل والأحوال ومن بيده قلوب الناس وأقدارهم ، ولم يكد جبريل يبشر النبي بهذه البشرى حتى أخذ انقلاب يظهر على شاشة الإمبراطورية الرومانية والله الأمر من قبل ومن بعد...

وتحمل هذه الآية أكثر من إعجاز:

الأول: في المكان «أدنى الأرض» أي مكان المعركة، وهي معركة (مجدو) وقد حصلت فعلاً في أخفض نقطة على سطح الأرض.

الثاني: في الزمان «بضع سنين» تحديد المدة، والبضع أقل من عشرة، فكان النصر بعد تسع سنين تقريباً.

الثالث: موافقة ذلك النصر للروم بنصر للمسلمين أيضاً على المشركين، وكان كذلك.

الهامش:

١. سورة الروم، الآيات ٢-٤.

المصدر: يوسف الحاج احمد، «موسوعة الاعجاز العلمي في القرآن الكريم و السنة المطهّرة»، مكتبة ابن حجر، الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ.، ص ٤٤.

مصدر الرد على التساؤلات

و الان يجب التساؤل: هل ان جميع التعاريف التي قدمت عن الانسان والطبيعة و مصدر الكون، تنبع من ينبوع واحد ونحن امامنا مجموعة مدونة موحدة؟ الجواب كلا.

ولا شك انه يمكن مشاهدة موطئ قدم للانطباعات العامة للمبلغين والمنظرين بسهولة وهي تتجلى خلف جميع وجهات النظر والتساؤل عن كيفية التصرف وتقديم الاليات والسبل، لكن جميع هذه الانطباعات ليست موحدة ومصدرها ليس واحدا. ان القاء نظرة خاطفة وسريعة على الاعمال المتبقية عن الشعوب يظهر انه ما بعد ذلك التساؤل والقلق الكبير للانسان، فان هناك الكثير من الاراء التي قدمت. الاراء التي يسعى كل منها لتقديم ردود على تلك الاسئلة. لكن التشتت بين الاراء المعروضة والكتب المطبوعة، لا يحكي عن وجود مئات والوف الردود. بل يمكن تشخيص جميع الردود والانطباعات في عدة فئات وطبقات، وتحديد حدود وثغور كل منها من خلال تحديد جغرافيتها النظرية والتبين من مكانة ورتبة اصحاب الكلام وكلماتهم. وعلى الرغم من استحالة الوصول الى بعض الاراء (بسبب قدم الموضوع)، الا ان العلائم والرموز والقصص والاساطير تساعدنا بدورها على الوصول الى تبويب منتظم في الاراء المدونة والمكتوبة.

إن قدم طرح هذا الموضوع هو بقدر قدم حاجة الانسان الى الهواء والماء والطعام، ولذلك يمكن العثور على موطئ قدم للموضوعات العامة والنظرية منذ الايام الاولى من حياة الانسان والى يومنا هذا، ويمكن في ظل التسامح والتساهل، تقديم التصنيف الاتي حول الردود المقدمة منذ سالف الزمان وغابر الايام والى هذا اليوم حول ذلك المثلث النظري المهم (مصدر الكون والانسان والطبيعة):

- الانطباعات الاسطورية (الرؤية الاسطورية)؛
- الانطباعات الدينية (المعتقدات الدينية)؛
- الانطباعات الفلسفية (الفكر الفلسفي)؛
- الانطباعات العلمية (الرؤية العلمية).

وكل من هذه الحالات، يتضمن المبادئ النظرية الخاصة حول الانسان وعلاقة الانسان بالوجهين المتمثلين في الطبيعة ومصدر الكون والنسبة بين الاوجه الثلاثة وهي الله والانسان والعالم وتقدم تعاريف خاصة عن «الانسان» ومكانته ودوره ومصيره، وتبقيت عنها مصادر تساعدنا «مصادر الرؤية» تلك على الوصول الى اجوبة وردود اصحاب الفكر والراي ونوعية انطباعاتهم.

المصدر: شفيعي سروستاني، إسماعيل، «الفكر، الثقافة و الأدب، الحضارة»، طهران، موعود العصر عجل الله فرجه الشريف، الطّبعة الأولى، ١٤٣٥هـ.ق./ ٢٠١٤م.

دور السياسة والفكرة

إن الكلمة لَمِن روح القدس، إنها تساهم إلى حد بعيد في خلق الظاهرة الاجتماعية، فهي ذات وقع في ضمير الفرد شديد، إذ تدخل إلى سويداء قلبه، فتستقر معانيها فيه، لتحوله إلى إنسان ذي مبدأ ورسالة.

فالكلمة يطلقها إنسان، تستطيع أن تكون عاملاً من العوامل الاجتماعية حين تثير عواصف في النفوس تغير الأوضاع العالمية. وهكذا كانت كلمة جمال الدين، فقد شقت كالمحراث في الجموع النائمة طريقها، فأحيت مواتها، ثم ألقت وراءها بذورا لفكرة بسيطة: فكرة النهوض، فسرعان ما آتت أكلها في الضمير الإسلامي ضعفين، وأصبحت قوية فعالة، بل غيرت ما بأنفس الناس من تقاليد، وبعثتم إلى أسلوب في الحياة جديد.

وكان من آثار هذه الكلمة أن بعثت الحركة في كل مكان، وكشفت عن الشعوب الإسلامية غطاءها، ودفعتها إلى نبذ ما كانت عليه من أوضاع ومناظر، فانكرت من أمرها ما كانت تستحسن، واتخذت مظاهر جديدة لا تتلاءم حتى مع ثيابها التي كانت تلبسها، فنبذت النرجيلة والطربوش والحرز والزردة.[١] ولقد يلغ تأثير تلك القوة الفعالة الجزائر فأخذت منها بنصيب.

فمأساة الجزائر مثلاً حتى سنة ١٩١٨م. لم تكن إلا رواية صامتة، أر أثرا من الآثار التاريخية وضع في متحف، أي في صدور قوم صامتين يعلمون السر الخفي للمأساة، حتى أرّقت ضمائرهم، واحتوته أيضا ملفات الحكومة التي كانت تعلم من أمرها ما تعلم، حتى إذا ظهرت الفكرة الإصلاحية حوالي سنة ١٩٢٥م. تحركت المشكلة الجزائرية، وقد أوتيت لسانا ينطق، وفكرة تنير لها الطريق. والذين أدركوا شبابم في تلكم الأيام يتذكرون تلكم الخواطر التي كانت تمر بهم.

وليس من شك في أن التاريخ يرى في مثل هذه الظواهر خير شاهد على رجوع الحاسة الاجتماعية إلى الجزائر، بمعنى أنها قد عادت إلى الحياة التي يستأنف فيها كل شعب رسالته، ويبدأ تاريخه.

أما في الماضي فقد كانت البطولات تتمثل في جرأة فرد، لا في ثورة شعب، وفي قوة رجل، لا في تكاتف مجتمع، فلم تكن حوادثها تاريخا، بل كانت قصصا ممتعة، ولم تكن صيحاتها صيحات شعب بأكمله، وإنما كانت مناجاة ضمير لصاحبه، لا يصل صداه إلى الضمائر الأخرى، فيوقظها من نومها العميق.

وإنه لمن الواجب علينا أن ننوه ببعض ما كان من أمر مناجاة الشيخ **صالح بن مهنة** الضميرية الفردية – إن صح التعبير – فإن صوت مناجاته كاد يوقظ أهل قسنطينة كلها حوالي سنة ١٨٩٨م.

والحق أن هذا الشيخ الوقور كان في طليعة المصلحين، إذ أنه قام قومة مباركة ضد الخرافيين (الدراويش)، غير أن الحكومة الساهرة على الهدوء، كيلا يستيقد النائمون، عملت على إبعاده وعاقبته بمصادرة مكتبته الثمينة، وفرقت أمثاله من مقلقي النوم العام في نظر الاستعمار، فحولت الشيخ **عبد القادر المجاوي** من منصبه بمدرسة «قسنطينة»، إلى مدرسة العاصمة، وهكذا استطاع النوم أن يشد بالأجفان من جديد، بعد أن حاولت تفلتا من قيوده، ومضت هذه الأصوات التي كادت أن تلفت إليها الأذهان، وتجمع حولها الناس، وكأنها شجار حدث في وسط ليل: لم ينتبه إليه نائم.

ولكن شعاع الفجر قد بدأ ينساب بين نجوم الليل، من قمة الجبل. فلم يلبث أن محت آياته الظلمة من سماء الجزائر. فحوالي عام ١٩٢٢م.، بدأت في الأرض هينمة وحركة، وكان ذلك إعلانا لنهار جديد، وبعثا لحياة جديدة. فكأنما هذه الأصوات استمدت من صوت جمال الدين قوتها الباعثة، بل كأنها صدى لصوته البعيد، لقد بدأت معجزة البعث تتدفق من كلمات **بن باديس**[٢] فكانت تلك ساعة اليقظة، وبدأ الشعب الجزائري المخدر يتحرك، ويا لها من يقظة جميلة مباركة، يقظة شعب ما زالت مقلتاه مشحونتين بالنوم، فتحولت المناجاة إلى خطب ومحادثات ومناقشات وجدل، وهكذا استيقظ المعنى الجماعي؛ وتحولت مناجاة الفرد إلى حديث الشعب، فتساءل الناس: كيف نمنا طويلاً؟ وهل استيقظنا حقا؟ وماذا يجب أن نفعل الآن! ولقد كانت هذه الأسئلة على شفاه قوم غمرتهم الدهشة، وما زالوا يتقلبون في خدر النوم، يتلمسون منه فكاكا.

كانت الحكومة في شك من أمرها، ومن المفيد أن نذكر كم كانت بطيئة في تكيفها مع الظروف الجديدة، فبعد عشر سنوات، أي حوالي عام ١٩٣٣م.، لم تكن هذه الحكومة قد تفهمت تلك الظروف، إذ نجد أن حاكم «الجزائر» – وقد أصدر لائحته المشهورة التي حرمت المساجد على العلماء المصلحين – نجده يصفه الشعب الجزائري بأنه «شعب خامل»!

ومن الواجب أن نذكر أن هذا الخمول الذي لم يكن إلا في الإدارة الاستعمارية الشائخة هو السبب الأساسي للبلاء، بينما البلاد قد شاعت فيها الحيوية، وامتلأت بالغليان والثورة.

لقد انطلقت الأفكار، ثم تلاقت وتصارعت، فكانت أحيانا تنفجر شأن فقاقيع الهواء على سطح (الغلاية)، وأحيانا أخرى تتحول مباشرة من حالة الجمود إلى حالة التبخر والشيوع، في صورة مدرسة، أو مسجد، أو مؤسسة إصلاحية، وظهرت النظريات الاجتماعية التي كانت يومئذ رائجة في سوق الأفكار، ظهرت هذه النظريات في أفكار الشباب المتطلعين إلى كل تجديد، فهذا يرنو إلى المذهب الكمالي، وذاك يأخذ بالمذهب الوهابي، وذلك ينزع إلى التمدن الغربي، ومنهم من انحدر بفكره إلى مذهب المادة، وكل واحد من هؤلاء وأولئك يتخذ ملبسا يعبر عن نزعة تفكيره، فهذا يلبس القبعة ليشعرنا بأنه يقفو أثر مصطفى كمال، وأنه تزعم تحرير النساء، وأنه يريد أن ينشر في البلاد التدريس المدني (اللاديني)، وأنه يريد أن يبدل مكان الشريعة القانون الوضعي.

ونرى من بين هؤلاء وأولئك عمائم الإصلاح، تدلنا على منهاج آخر يقوم على عقيدة صحيحة، ورجوع إلى السلف الصالح، وتغيير ما بالنفس من آثار الانحطاط.

ولكنا نرى أن هذه القيادات والاتجاهات – رغم تباينها واختلافها – كانت متفقة على نقطة هي: إرادة الحركة والتجديد والفرار من الزوايا الخرافية إلى المكاتب العلمية، ومن الحمارات الحقيرة إلى مواطن أكثر طهارة وفائدة.

ولقد كانت حركة الاصلاح التي قام بها العلماء الجزائريون أقرب هذه الحركات إلى النفوس، وأدخلها في القلوب، إذ كان أساس منهاجهم الأكمل قوله تعالى: «**إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ**».

فأصبحت هذه الآية شعار كل من ينطرح في سلك الإصلاح في مدرسة بن باديس وكانت أساسا لكل تفكير. فظهرت آثارها في كل خطوة، وفي كل مقال، حتى أشرب الشعب في قلبه نزعة التغيير فأصبحت أحاديثه تتخدها شرعة ومنهاجا، فهذا يقول: لا بد من تبليغ الإسلام إلى المسلمين، وذاك يعظ: فلنترك البدع الشنيعة البالية التي لطخت الدين، ولنترك هذه الأوثان. وذلك يلح: يجب أن نعمل، يجب أن نتعلم، يجب أن نجدد صلتنا بالسلف الصالح، ونحيي شعائر المجتمع الإسلامي الأول.

وإنه لتفكير سديد؛ ذلك الذي يرى أن تكوين الحضارة كظاهرة اجتماعية إنما يكون في نفس الظروف والشروط التي ولدت فيها الحضارة الأولى، كان هذا صادرا عن عقيدة قوية، ولسان يستمد من سحر القرآن تأثيره، ليذكر الناس بحضارة الإسلام في عصوره الزاهرة. والشعب المتدين الطروب كان مصغيا ... ولكن المستقبل هدف بعيد، فلا بد من طرق واضحة ودفعات قوية لكي يدرك هدفه. وإذن فيجب أن تحدد الكلمات معالم هذه الطرق، وأن تحتوي على الخمائر المباركة لهذه الدفعات.

وعلى الرغم من قوة عبارات الإصلاحيين الجزائريين، فإن هذه الكلمات قد انحرفت – أحيانا وبكل أسف – عن أهدافها، لأسباب تضاد المنهج، فلقد كان النوم يحذرهم عن أن ينشروا وعيهم وجهدهم باستمرار، فكانت النتيجة انحرافا. ولا نتيجة، لأن الحكمة قد تركت مكانها للانتهازية السياسية.

ولكن مهما كان شأن جمعية العلماء إزاء ذلك الانحراف، ومهما كان ركونها أحيانا إلى التفكير غير المنهجي، فإنها لا تزال في طليعة النهضة الجزائرية الصحيحة، ومن أقوى محركاتها.

على أن من الممكن أن يتحول هذا النوع من التفكير غير المنهجي إلى انتهازية خطيرة،[٣] وبخاصة في العصور المضطربة عندما تؤدي كل خطوة خاطئة إلى الموت أحيانا.

فليس للانحراف طرق مرسومة نظريا، ولكن له دروبا مظلمة يتعثر فيها السائر في كل خطوة.

وهنا يظهر السبب الذي دعا العلماء إلى أن يسيروا عام ١٩٣٦م. في القافلة السياسية التي ذهبت إلى باريس كأكبر سبب جرَّ الحركة الإصلاحية الجزائرية إلى أول انحرافها.

فبأي غنيمة أرادوا أن يرجعوا من هناك، وهم يعلمون أن مفتاح القضية في روح الأمة لا في مكان آخر؟

وبأي شيء في الحقيقة قد رجعوا؟ ألم يرجعوا باخفاق المؤتمر الجزائري وبتشتيت جمعيتهم نفسها؟ فلقد ساد الرأي الانتخابي، وأصبح قائدا بدلاً من أن يكون مقودا، وهكذا انقلبت الحركة الاصلاحية على عقبها، وأصبحت تمشي على قمة رأسها، لا على قدميها وما كان الأمر خاصا بالجزائر، بل كان العالم الإسلامي مصابا بمثل ما أصاب الجزائر، فقد نشأت فيه التيارات الحزبية، وانعكست فيه روح السمو وقوة الصعود والنهوض، إلى عاطفة سفلية، وجاذبية سطحية.

وربما كان عام ١٩٣٦م. في الجزائر هو القمة التي بلغها روح الكفاح والاصلاح الاجتماعي، وهي نفسها القمة التي هبط منها الاصلاح إلى هاوية لا قرار لها.

وكان ذلك قبيل حرب عام ١٩٣٩م.، عندما أوعدت سحبها السوداء في أفق العالم.

ومن المحزن حقا أن العالم الاسلامي – إبان هذه الحقبة – قد استسلم لرقاد طويل، فلم يفطن لساعات التاريخ الفاصلة، ولم يحاول انتهاز فرصتها السانحة، ليتخلص من الاستعمار.

الهوامش:

١. هي الوليمة التي يقيمها رجال الطرق في أحفالهم، ويطلق عليها العوام في مصر الفتة.

٢. أحد زعماء الإصلاح في الشمال الإفريقي

٣. قد بينت الظروف أن هذه الانتهازية قد انتشرت بالفعل في الأوساط التي تقود الحركة الإصلاحية الجزائرية.

المصدر: مالك بن الحاج عمر بن الخضر بن نبي، «شروط النهضة»، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٦م.

التحصين الأسري في عصر الفضاء الافتراضي القسم الثاني

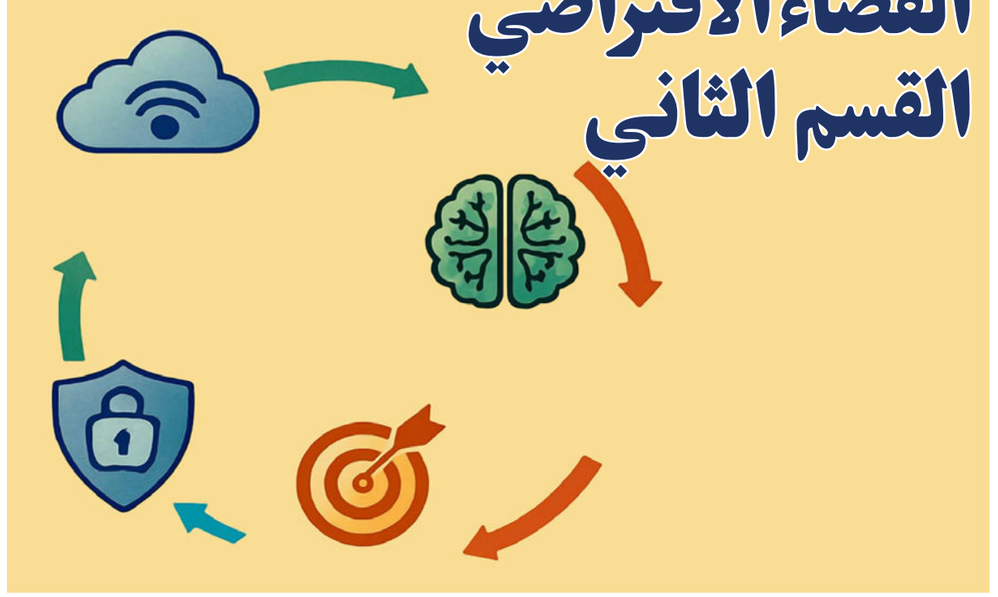

وذكرنا في الأقسام السابقة، أن سيادة القانون تعد من الطرق الكفيلة بالوقاية وخفض الأضرار الناجمة عن الفضاء الافتراضي داخل الأسرة، ويتعين على الأبوين والأبناء على حد سواء، التقيد بتلك القوانين، وعدم ضربها عرض الحائط إطلاقا. والحل المقترح الآخر تمثل في تحمل المسؤولية، وقُدمت خلاله أمور بغرض تنشئة أبناء يتحملون المسؤولية لكي يتم في ضوء النتائج الإيجابية لتحمل وتقبل المسؤولية على التنمية الفردية والنمو الأخلاقي للأبناء، تقليص الأضرار الناتجة عن الفضاء الافتراضي عليهم. والأمر الثالث، تمثل في التعليم والتوعية، وبيّنا فيه أن على الأبوين أن تكون لديهم اليد العليا في مجال الإعلام والفضاء الافتراضي، أي فضلا عن كونهم يمتلكون معلومات كاملة وإشرافا على هذه الفضاءات والمساحات، لا بد لهم أيضا توعية أبناءهم تجاه هذه الفضاءات وكيفية التعاطي معها والقائمين عليها.

والشيء الرابع، هو مبدأ بناء النموذج وبيّنا فيه أن الأبوين يعدان بادئ ذي بدء أول وأهم نموذج، وبوسعهم أن يكونوا مرشدين جيدين لانتخاب النموذج المناسب من قبل الأبناء. إن الأشخاص الذي يملكون نموذجا ملائما، قادرين في خضم تقلبات الحياة ونظرا إلى حياة النموذج الذي يعتمدونه، على اختيار الطريق الصحيح في الحياة.

أما الأسلوب الآخر الذي أتينا على ذكره بخصوص خفض أضرار الإعلام والفضاء الافتراضي، هو أسلوب التحصين أمام الغزو والهجمات والمشاكل والانحرافات المختلفة، بحيث يبلغ الشخص مرحلة يملك فيها بنفسه ردعا وسيطرة ذاتية أمام الانحرافات، ووضحنا طريقة تبيان مبادئ الدين للأبناء وتحصينهم عن طريق التواصل مع الله تعالى، ونتطريق الان إلى الخطوات اللاحقة في هذا الخصوص:

الخطوة الرابعة:

إضفاء البصيرة وتحديد العدو

والخطوة الرابعة والمهمة جدا لخفض أضرار الفضاء الافتراضي داخل الأسرة هي زيادة البصيرة ومعرفة العدو لدى جميع أعضاء الأسرة. وتعني البصيرة، إدراك الحقيقة وتمييز الحق عن الباطل والقدرة على رؤية ظواهر الأمور وبواطنها.[1]

ويقول الإمام الصادق عليه السلام حول البصيرة:

«الْعَامِلُ عَلَى غَيرِ بَصِيرَةٍ كالسَّائِرِ عَلَى غَيرِ الطَّرِيقِ لَا يزِيدُهُ سُرْعَةُ السَّيرِ إِلَّا بُعْداً»[2]

والعامل الأول الذي يساعد الانسان على اكتساب البصيرة يتمثل في تعزيز الصبر والثبات على الإيمان ومتطلباته، والتقيد بالتقوى الإلهية وتحاشي المادية واللهاث وراء الدنيا. ويعتبر الإمام علي عليه السلام اللهاث وراء الدنيا بانه من صفات الأناس المصابين بالعمى ممن لا يرون شيئا ما بعد الدنيا، ويقول ان الإنسان البصير لا يتورط بالدنيا.[3]

والعامل الثاني هو كسب البصيرة وتعزيز معرفة العدو وما هي التيارات التي تقف بوجهنا وبلدنا وديننا. أن تعزيز معرفة العدو يساعدنا على عدم الحيد عن الطريق في الأحداث والتطورات المختلفة، وتمييز الطريق عن غير الطريق.

والعامل الثالث للتحلي بالبصيرة، هو دراسة التاريخ والاعتبار بمصير العوام والخواص في مختلف المجتمعات وتجنب أخطاء الماضين. وفي هذا الخصوص يقول الإمام علي عليه السلام ما مضمونه أن من لم يأخذ الدرس من التاريخ والأحداث الماضية، ليس له تفكير ومن لا يملك فكرا، لا يملك بصيرة، لذلك فان إحدى أدوات بناء البصيرة هي دراسة التاريخ وأخذ الدرس والعبر منه. ويدعو الإمام في وصيته ابنه الحسن بن علي عليه السلام، ليعرض على قلبه القضايا التاريخية القيمة والبناءة، لكي يستفيد من تجارب الماضين، ويفكر وكأنه سيصير في مستقبل قريب واحدا منهم، إذ يترك أحبائه وينتقل إلى ديار الغربة.[4]

والعامل الرابع هو اكتساب المقدرة على تشخيص الحق عن الباطل ضمن معرفة التيارات السياسية، وتعزيز قدرة التحليل السياسي وتحديد الجبهة، بمعنى أن الانسان يجب أن يرفع من مستوى قدرته على التحليل السياسي وأن يحدد ما هي جبهة الاسلام والحق، وأين يكمن الباطل وأهدافه. وأن أهداف وشعارات أي جبهة تتناغم مع دين الله، وأي جبهة تتابع القيم المادية وغير الإلهية.

والسبيل الخامس لنيل البصيرة، هو معرفة التكاليف ومعرفة ماذا يريد الله تعالى من الانسان في أي ظرف، لا أن نأخذ بعين الاعتبار الرغبات النفسانية أو المعتقدات المادية غير الصائبة. وإن أرسينا واجبنا على أساس الدفاع عن المعتقدات والقيم غير الإلهية، بدليل أن علم الانسان عاجز عن تحديد المصالح والمفاسد النهائية للسلوكيات والمواقف، فان احتمال الخطأ في ذلك سيزداد.

وقال اية الله الخامنئي في ٤ يونيو ٢٠٠٤م.:

إن ما هو مشهور عن قول الإمام الحسين عليه السلام إذ قال إننا نعمل من اجل الواجب لا من أجل النصر، لا يعني عدم رغبته عليه السلام في تحقيق النصر. إن النصر هو من نعم الله، وأن الإمام كان راغبا بتحقيق النصر، لكن ما كان يوجهه نحو تلك الأهداف، هو التكليف والعمل بالواجب الإلهي؛ العمل من أجل الله. لان دافعه كان هذا، لذلك فانه لم يخف؛ ولم يشك، ولم ييأس، ولم يغتر، ولم يتزعزع ولم يتعب. إن هذا هو خاصية العمل بالتكليف والعمل من أجل الله. إن الذي يعمل من أجل التكليف، لا يصاب بالشك والتردد والتزلزل، ولا يخاف ولان يتعب؛ ولا يعود عن الطريق ولا تتحول المصالح الشخصية إلى عامل حاسم ومصيري في تحديد طريقه وتوجهاته.

والعامل السادس لاضفاء البصيرة هو معرفة التوقيت والتصرف في أوانه وفي وقته الخاص، لان لدينا حالات كثيرة في التاريخ بما في ذلك التوابين و... ممن لم يتصرفوا حسب الواجب في أوانه، وعندما أرادوا العمل بواجبهم وتكليفهم، كان الوقت قد فات.

والعامل السابع لاكتساب البصيرة هو معرفة المستقبل الأمر الذي يحظى بأهمية بالغة؛ إن استشراف المستقبل يعني أن نعرف ما هي أولويات البقاء في المستقبل، وماذا ستكون عليه إجراءاتنا وواجباتنا في الوقت الحاضر تجاه المستقبل، وذلك من أجل تفادي عنصر المباغتة والمفاجئة والتخلف وزوال القوة.[5]

الخطوة الخامسة:

تجسيد عاقبة الخطأ في الفضاء الافتراضي

إن تبيان عاقبة الخطأ في الفضاء الافتراضي يعني أن نقوم بتوعية الأبناء بوضوح وجلاء ومن خلال أمثلة حقيقية واعتماد المصادر المعتمدة المختلفة، عاقبة ونتيجة أخطاء الأشخاص في الفضاء الافتراضي، لكي ينتبهوا إلى العواقب والتداعيات الجسيمة التي يتركها لهم حتى خطأ واحدا وثقة في غير محلها وحتى علاقة غير حميمية مع شخص مجهول، بحيث أن ذلك يلقي بظلاله القاتمة على مجمل مسقبلهم، وأن هذه التوعية تشكل ردعا جيدا بالنسبة لهم وتتحول إلى عامل للتحكم الذاتي عندهم.

وثمة خطوات أخرى في مجال التحصين، سنتطرق إليها في الأقسام اللاحقة.

الهوامش:

1.https://www.beytoote.com/religious/sundries/what2-insight1-importance.html)

٢. «المحاسن»، ج ١، ص ١٩٨.

٣. الخطبة ١٩٨.

٤. «نهج البلاغة»، الرسالة ٣١.

٥. مقال «سبع آليات لزيادة البصيرة»، حسين حسني:
https://news.amfm.ir/2022/01/01/

صياغة النظام التأسيسي

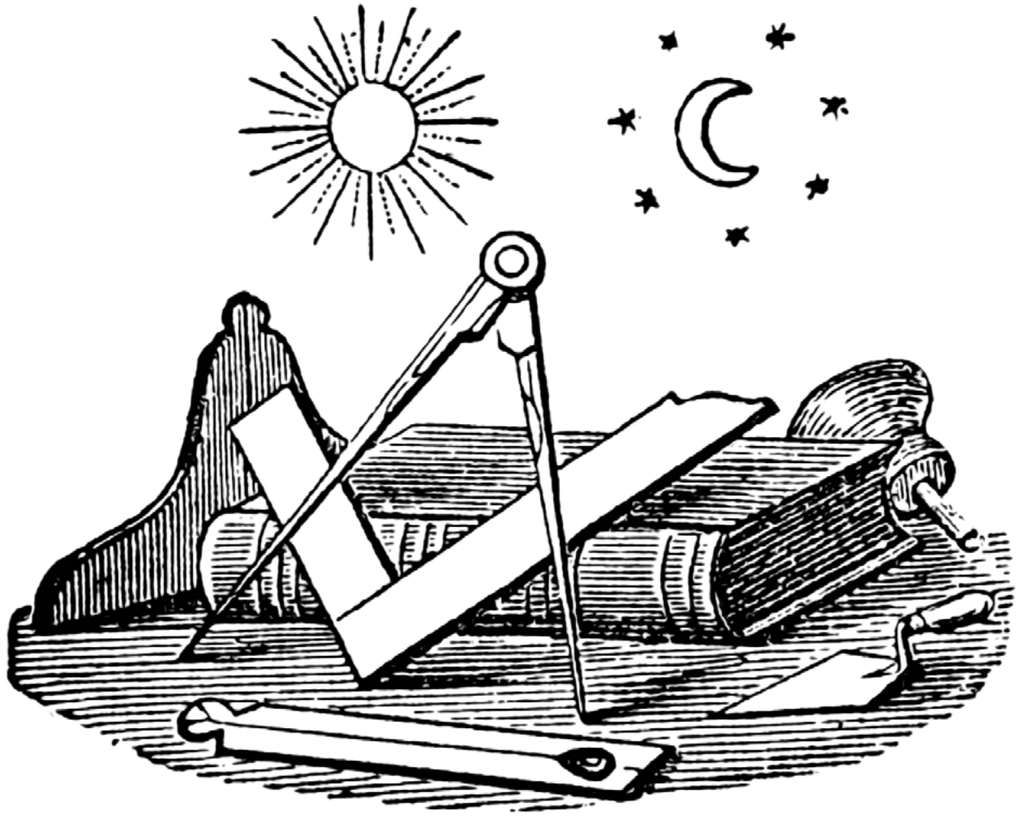

إن صياغة النظام التأسيسي حوّل التنظيم الماسوني من هيئة مهنية علمية إلى تنظيم سياسي ليواصل عمله في إطار أهداف البلدان الأوروبية وإتحاد «الصليب وصهيون».

إن أي مجتمع يتبلور من خلال إعتماد مبادئ وقواعد محددة. ولذلك، وبناء على طلب الدوك **فيليب دو وارتون**[1] الأستاذ الأعظم لمحفل لندن الكبير، تم صياغة النظام التأسيسي للماسونيين ونشر عام ١٧٢٣ للميلاد. وكان الدوك دو وارتون قد استهل طلبه هكذا:

«إن أمرنا يقضي بقبول واعتماد هذه النظم التأسيسية في كافة المحافل الخاصة التابعة لنا وأن يتم قبولها من قبل الماسونيين بوصفها النظام التأسيسي الوحيد واستخدامها في تعليم وتدريب الأخوة الجدد...»

وعرف هذا الكود الماسوني بـ«نظام أندرسون التأسيسي»[2] والذي أخذ من إسم القس وعالم الانساب الاسكتلندي جيمز اندرسون الذي كلف بصياغة الوثيقة، لكن عددا من الأخوة ساعدوا أندرسون في عمله، من بينهم مفكر متنور يدعى **جان تيوفيلوس دزاغولية**،[3] الذي كان بلاشك الكاتب والمؤلف الرئيسي.

إن هذا القس الذي كان إبن قس أيضا، ولد في «لاروشل[4] الفرنسية» لكنه هاجر إلى بريطانيا عام ١٦٨٥ بصحبة أبيه وأمه. وحصلت هجرة الأسرة هذه في أعقاب الإلغاء المذهل والمحزن لـ«أمر نانت»[5] على يد لوي الرابع عشر (وقد صدر هذا الأمر من قبل هنري الرابع بهدف تشريع الكنيسة البروتستانتية في عام ١٥٩٨ الميلاد). وكان دزاغولية رجل قانون وعالما فيزيائيا وصديقا قريبا من نيوتن وعضو الجمعية الملكية[6] والقس الخاص للكنيسة

الصغيرة للأمير «غال»[7] وأصبح في النهاية كبير أساقفة الكنيسة البروتستانتية.

وبادر هذا النظام التأسيسي في البداية، بجمع وصياغة أقسام من المهام القديمة بما فيها المخطوطات اليدوية لأرشيف «يورك»[8] و «رجيوس»[9] والمتعلق بالعام ٩٦٠ للميلاد، وأقسام أخرى وأصبح علنيا في القرنين الرابع عشر والخامس عشر. وركزت هذه المجموعة في البداية على الأسرار والرموز الدينية ومن ثم استلهمت من مواقع قوة الفلسفة التنويرية للقرن الثامن عشر. ووفقا لمبادئها وقواعدها التي كانت تسمى العناوين الرئيسية،[10] فان الأعضاء كانوا مكلفين باتباع ومراعاة النقاط التالية:

- الإيمان بالله الذي هو المهندس الأعظم للكون؛
- إعتماد أداة البنائين بمفردات فلسفية وأخلاقية؛
- يمين كتم الأسرار؛
- التقيد بعلائم التشخيص (المفردات والحركات واللمس والمصافحة)؛
- التسامح مع كافة الأديان، لكن منع الملحدين والنساء والعبيد والخدم من الدخول إلى المحافل؛
- إعلان الوفاء للملك؛
- إقامة مراسم تعليم المتدربين وتعريفهم على المعلومات الرمزية، الأمر الذي له علاقة بدرجات المتدربين والرفاق.

إن النهضة الماسونية انتشرت بسرعة بسبب إتصافها بالاريستقراطية وطريقة تفكيرها. وحتى أنه ساد بين أعضاء الأسرة الملكية أن يحظوا بالقبول من قبل النهضة. وانخرط كبار قساوسة الديانة المسيحية البريطانية، في عضويتها فوجا فوجا، ولم يهتموا بصمت كنيستهم المصحوب بالتذمر. وغيروا في عام ١٧٣٨ للميلاد، الأنظمة التأسيسية لعام ١٧٢٣ للميلاد وأدخلوا عليها تعديلات، لانهم كانوا يطالبون بعودة الحركة من جديد إلى المسيحية. وفي فرنسا ورغم الصمود في وجه تعنت الفاتيكان، أصدرت الحكومة أمرا بمراقبة نهضة الماسونية التي كانت تتشكل، لانها كانت تخشى أن تظهر الجانسينية[10] مرة أخرى في البلاد، أو أن يتوغل المتواطئون التابعون لأسرة استوارث هناك عندما كانوا يتعبون تدريجيا من الإرتباط ببريطانيا.

وبناء على ذلك، أخذ الماسونيون من أصحاب النظر في العصر الحاضر، جزء من فلسفتهم من جوهر عصر النهضة وعصر التنوير وأخذوا جزء من قواعدهم العقائدية من عمال العصور الوسطى الذين نشأوا على المسيحية، لكن كلا من الماسونيين أكانوا من أصحاب النظر أو أصحاب التطبيق، يندرجون في سلسلة إنسانية طويلة، تطرح على الدوام على نفسها تساؤلات حول مغزى الحياة، وتسعى للإجابة على هذه التساؤلات.[11]

الهوامش:

١. ماله، آلبر – إيزاک، جول، «تاريخ القرن الثامن عشر للثورة الفرنسية الكبرى وإمبراطورية نابليون»، ترجمة رشيد ياسمي، مكتبة إبن سينا، الطبعة الرابعة، ١٣٥٧هـ .ش.، ص ٢٩٦.

٢. المصدر السابق، ص ٢٩٧.

3. Quesnay.

4. Gournay.

٥. ماله، آلبر – إيزاک، جول، «تاريخ القرن الثامن عشر للثورة الفرنسية الكبرى وإمبراطورية نابليون»، صص ٣٠٠-٣٠١.

٦. المصدر السابق، صص ٣٠٠-٣٠١.

٧. موسوي، حميد، «الفلسفة في عصر التنوير» (مقال)، الموقع الإلكتروني: www.farashenakht.blogfa.com

٨. المصدر السابق.

٩. ماله، آلبر – ايزاک، جول، «تاريخ القرن الثامن عشر للثورة الفرنسية الكبرى وإمبراطورية نابليون»، ص ٣١٠.

١٠. عنان، محمّد عبدالله، «تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة»، صص ١٣١-١٣٢.

11. Masse.

١٢. يحيى، هارون، «الماسونية العالمية»، المصدر السابق، ص ١٦٨؛ نقلا عن:

The Catholic Encyclopedia, Masonary, new advent.

13. Delpech.

14. Galilean.

١٥. يحيى، هارون، «الماسونية العالمية»، المصدر السابق، ص ١٦٨.

المصدر: «التاريخ الثقافي لقبيلة اللعنة» (الجزء السادس): فرسان الهيكل وأسس الماسونية، إسماعيل شفيعي سروستاني، طهران، هلال، الطبعة الأولى، ٢٠١٩م.

مرحلة الطاعة

د.مسعود دريس

من سن السابعة، تحدث تغيرات كبيرة في جسم وعقل الطفل. عقلياً يصل إلى مستوى من التطور يفهم الخير والشر والقبح والجمال، لكنه لا يملك النضج اللازم في اختيار المسار واختيار الأهداف المعقولة.

لقد أثبت علماء النفس أن الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين السابعة والرابعة عشر، بسبب حصولهم على علاجاتهم الجسدية والعقلية، يتبنون حالة من الطاعة للكبار ويتبعون أوامر الوالدين ويصبح لديهم حالة واضحة من الخضوع والاستسلام في سلوكهم ويستمتعون بالتعبير عن طاعتهم. واستناداً إلى نفس الحقائق التي لوحظت عند الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين السابعة والرابعة عشرة، فقد أطلق الرسول الكريم ﷺ على هذه المرحلة من الحياة بمرحلة الطاعة. يبدأ التعليم الرسمي في سن السابعة ويمر الطفل بمرحلة الطاعة في المدرسة الابتدائية والثانوية. بسبب النمو العقلي، وزيادة قوة الذاكرة، وازدهار المواهب، والميل إلى الحياة الاجتماعية، والرغبة في فهم المجهول وبعض الحالات الأخرى التي تظهر في الطفل، فإن هذه الفترة هي فرصة عظيمة للتطور الأخلاقي وتنمية الفضائل في الأطفال.

في هذه الاعوام المذكورة، يتمتع الطفل بمزيد من المرونة والقبول في التعليم. لذلك من الضروري بذل جهود كبيرة لتعليم الطفل والاستفادة القصوى من السلام والاستقرار القائمين، وإذا لم يتم تعليم الطفل وتنمية جوانبه الفكرية والعاطفية والأخلاقية بالشكل الصحيح والعناية في هذه الفترة فسيواجهه مشاكل كثيرة في سن المراهقة، ولن يكون من السهل حلها.

في مثل هذه الأوقات، يجب أن يلعب كل من المنزل والمدرسة دورهما. في المنزل، تكون العلاقات شخصية وعاطفية أكثر، وفي المدرسة تكون اجتماعية ومنطقية أكثر. لذلك فإن البيت والمدرسة يكملان بعضهما البعض من حيث توفير الظروف اللازمة لنمو الطفل. يحتاج الأطفال إلى أن يكون الوالدين مستمعين جيدين، وهناك حاجة إلى الرصانة والصبر.

لا يجوز لوم الأطفال على الفشل، والأفضل تشجيعهم على نجاحاتهم وجهودهم حتى لا تتضرر ثقتهم بأنفسهم. تعتبر مقارنة الأطفال ببعضهم البعض، والتباهي بنجاح الزملاء، والتوقع غير الواقعي منهم، وتجاهل الفروق الفردية من الأخطاء التربوية المهمة والتي تضعف شخصية الطفل وتجعله يشعر بعدم الثقة بالنفس.

وأيضاً إذا كان الطفل موهوباً للغاية ويتمتع بذكاء وقدرة عقلية جيدة، فلا يجب أن تثار هذه القضية باستمرار بحضوره هو وغيره، فإن تكرار هذا الموقف سيوقفه عن النشاط وسيعاني من الركود وبالتدريج يحيي الغرور به...

المصدر: موقع الواح طينية.

حقيقة الغيبة والظهور

قد مرَّ أن من ميزات الغيبة الكبرى للإمام عجل الله فرجه هو انقطاع النيابة الخاصة والسفارة وإن للغيبة معنى وسطياً بين الحضور وبين عدم الظهور ولكن عدم ظهور الإمام هل هذا يعني أن الإمام عجل الله فرجه بعيد وغائب عن البشرية، أي هل أن معنى الغيبة يقابل الحضور أم لا، إنما الإمام حاضر دائماً فيكون معنى الغيبة مقابلًا للظهور؟

لو لاحظنا الروايات المروية في هذا المجال من الفريقين الخاصة والعامة نجد أن انتهاء أمد الغيبة الكبرى يكون بالظهور وليس بالحضور فيكون معنى الغيبة في مقابل الظهور فالغيبة تعني الخفاء والسرية وعدم الاعلان وعدم البروز وأما الظهور فهو عدم الخفاء أي البروز والاعلان، وتقدم أن من أدلّة انقطاع النيابة الخاصة والسفارة أن نفس لفظ الغيبة يتضمن عدم التمثيل وعدم التوكيل وعدم التنويب وهذا يعني أنه عجل الله فرجه حاضر وموجود لكن ليس على نحو العلن والبروز.

ونجد هذا المعنى أيضاً في كثير من الأدعية كدعاء الندبة «**بنفسي أنت من مغيب لم يخلُ منّا**»[1] وعدة فقرات في هذا الدعاء يتضح منها أنه عجل الله فرجه حاضر وإنما التأسف في البحث عنه باعتبار غيبته، أي خفاؤه وسريته!

ومن الغريب أن هذا المعنى فهمه وحققه واكتشفه ووصل إليه بعض الباحثين الاستراتيجيين الغربيين في حين غاب بل استهزء به وسخر منه بعض الكتاب الإسلاميين، وما ذلك منهم إلّا لأنهم لم يفهموا معنى الغيبة وفسرّوها بتفسير خاطئ.

فهذا المعنى الخفي الدقيق الخطير للغيبة فهمه أمثال الباحث الاستراتيجي الخطير والمنظّر الدولي **فرانسوا توال** الفرنسي[2] في كتاب كتبه حول الجغرافيا السياسية للشيعة، وهذا الكتاب خطير جدّاً وقد نسخ وتُرجم للوقوف بدقة على أبحاثه لأن البحوث الاستراتيجية أشبه بالسرية، وقد ذكر هذا الباحث في كتابه أن معنى غيبة الإمام المهدي عجل الله فرجه عند الشيعة بمعنى الخفاء والسرية ليكون الإمام المهدي عجل الله فرجه أنشط في حركته وحيويته في تدبير الأمور في العلوم الاستراتيجية والأمنية، فإنّ السرية رمز القدرة، والدول ترى في السرية قدرة وقوة.

فهؤلاء الكتاب وصلوا لهذه المعاني الدقيقة وراء غيبة الإمام عليه عجل الله فرجه في حين كتابات من المذاهب الإسلاميّة الأخرى تستخف بعقيدة الغيبة عند الإمامية، بل إن الكثير من الروايات والجماعات الضالة تستخف بالغيبة الكبرى بمعنى السرية الكاملة حيث لا سفارة ولا نيابة خاصة، حيث ظنوا أن معنى هذه العقيدة الضرورية عند الطائفة الإمامية من انقطاع الاتصال الرسمي المعتبر بالحجة عجل الله فرجه يعني جمود الحجة بن الحسن عجل الله فرجه عن مهامه ودوره في قيادة البشرية ومواصلة مهامها الرسالية، وأنه عجل الله فرجه نائي في أقاصي البلاد لا يتصدى للأمور وتاركاً الحبل على الغارب، بينما يعبث بالأمر قوى الطغيان البشري، بل الحق أنه لو ترك التصدي للأمور يوماً واحداً لساخت الأرض فساداً بأهلها، ولوقعت الحروب والبلايا في الأصعدة المختلفة على البشرية، كما قال عجل الله فرجه في التوقيع الشريف:

«نحن وإن كنّا ناوين بمكاننا النائي عن مساكن الظالمين، حسب الذي أراناه الله تعالى لنا من الصلاح ولشيعتنا المؤمنين في ذلك ما دامت دولة الدنيا للفاسقين، فإنا نحيط علماً بأنبائكم، ولا يعزب عنّا شيء من أخباركم، ومعرفتنا بالذل الذي أصابكم مذ جنح كثير منكم إلى ما كان السلف الصالح عنه شاسعاً، ونبذوا العهد المأخوذ وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون.

إنّا غير مهملين لمراعاتكم، ولا ناسين لذكركم، ولولا ذلك لنزل بكم اللأواء أو اصطلمكم الأعداء فاتقوا الله (جل جلاله) وظاهرونا على انتياشكم من فتنة قد أنافت عليكم يهلك فيها من حم أجله ويحمى عنها من أدرك أمله، وهي أمارة لأزوف حركتنا ومبائتكم بأمرنا ونهينا، والله متم نوره ولو كره المشركون.

اعتصموا بالتقية! من شب نار الجاهلية، يحششها عصب أموية، يهول بها فرقة مهدية، أنا زعيم بنجاة من لم يرم فيها المواطن، وسلك في الطعن منها السبل المرضية، إذا حل جمادى الأولى من سنتكم هذه فاعتبروا بما يحدث فيه، واستيقظوا من رقدتكم لما يكون في الذي يليه...»[3]

بل هو عجل الله فرجه يدبّر ويدير الأمور البشرية جميعاً عبر أساليب خفية وأدوات غيبية منتظمة تحت الستار، لكن المقرر لتلك الإدارة أن لا تظهر إلى السطح والعلن في عصر الغيبة قبل الظهور، فالغيبة والانقطاع لا تعني انعدام حضوره عجل الله فرجه، في الساحة الاجتماعية والسياسية البشرية بل تعني انقطاع الاتصال من طرفنا ومن قبلنا باتجاهه عجل الله فرجه لا انقطاعه هو عجل الله فرجه عن التصرف في أمورنا وأمور البشرية وفي المجتمعات المختلفة، كما قال تعالى:«**إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً**»[4] أي يحول أمام الفساد في الأرض وسفك الدماء.

ففي الوقت الذي يستخف بعض المسلمين بالغيبة والسرية، فإنّ أولئك الباحثين يفهمونها ويعتبرونها مصدراً للقوة والقدرة والتدبير.

وما بيّناه من التفسير الصحيح للغيبة لا يمنع أن له أعواناً خاصين ونشطاء بل وجهاز عمل كامل إلّا أن المهم أنه ليس له أيّ بروز وإعلان وتمثيل رسمي في الظاهر وإنما تمام العمل والنشاط والتدبير في السر والخفاء وليس لجهازه وأعوانه صلاحيات الاعلان والبروز والظهور، لذا فمن يدعي ذلك في العلن فهو كذّاب ودجّال.

يقول أولئك الباحثون الستراتيجيون: إن السرية في العلوم الستراتيجية والعلوم السياسية والعلوم العسكرية والعلوم الأمنية هي تمام القدرة، فكلما قلت السرية والخفاء كلما قلت القدرة والمقدرة والقوة، لأن الذي هو في السر والخفاء يتواجد ويعيش في سياج وحماية أمنية فلا يمكن لأيّ أحد أن يصل إليه فليست القضية حينئذٍ فيزيائية لوجستية حسية بدنية وإنما هي خفاء وسرية بمعنى عدم إمكان معرفة وكشف المختفي فلا يمكن عرقلته أو قطع الطريق عليه أو مواجهته أو مصادمته أو الحول بينه وبين تدبيراته.

الهوامش:

١. في كتاب «المزار» لمحمّد بن المشهدي في الباب التاسع تحت عنوان دعاء الندبة في ص ٥٨١ جاء: «بنفسي أنت من مغيب لم يخلُ منّا، بنفسي أنت من نازح ما نزح عنّا، بنفسي أنت أمنية شائق يتمنى، من مؤمن ومؤمنة ذكرا فحنّا، بنفسي أنت من عقيد عزّ لا يسامى، بنفسي أنت من أثيل مجد لا يجارى، بنفسي أنت من تلاد نعم لا تضاها، بنفسي أنت من نصيف شرف لا يساوى».

٢. كتاب «الجغرافية السياسية للشيعة» تأليف فرانسو توال وهو نائب رئيس الكتلة الوسط في مجلس الشيوخ الفرنسي وأيضاً هو من مركز الدراسات الاستراتيجية الفرنسية.

٣. «الاحتجاج»، ج ٢ ، ص ٣٢٢.

٤. سورة البقرة، الآية ٣٠.

المصدر: الشيخ محمد السند، «دعوى السفارة في الغيبة الكبرى»، إعداد وتحقيق: مركز الدراسات التخصصية في الإمام المهدي عجل الله فرجه.

علي منتظر القائم

آخر الزمان، نهاية العالم

١. معنى آخر الزمان ومفهومه

«آخر الزمان» في كتب القاموس يعنى «الفترة الأخيرة»[١] و «آخر جزء من العصر الذي سيؤدي إلى القيامة»،[٢] وله مكانة بارزة في الثقافة والأدب لدى العديد من الشعوب والأمم، وخاصة أتباع الأديان الإبراهيمية، حيث يتابعون هذا الموضوع بحساسية ودقة كبيرين. والدليل على ذلك هو العديد من الكتب التي ألفت منذ زمن بعيد بين مختلف الجماعات العرقية والأمم حول علامات وخصائص آخر الزمان.

وبالنظر إلى ما ورد في العديد من الروايات المنقولة عن نبي الإسلام والأئمة المعصومين عليهم السلام في سياق آخر الزمان وأحداثه، فقد أولى المسلمون اهتماماً كبيراً بهذا الموضوع، وبالإضافة إلى جمع هذه الروايات، فقد ألفوا كتباً مستقلة في هذا المجال في مجموعات روائية،[٣] وتسمى هذه الكتب عادة بأسماء مثل أشراط الساعة، وعلامات الساعة، وعلامات يوم القيامة، والفتن، والملاحم، والفتن والمحن، والفتن والملاحم وغيرها.[٤]

جاء في الموسوعة الإسلامية الكبرى ما يلي عن مصطلح «آخر الزمان»:

يستخدم هذا المصطلح في معنيين في كتب الحديث والتفسير: أولاً، ذلك الجزء من الزمن الذي يعتقد المسلمون أنه يبدأ بنبوة نبي الإسلام صلى الله عليه وآله ويمتد حتى يوم القيامة. ثانياً، الجزء الأخير فقط من الفترة المذكورة والذي سيظهر فيه المهدي المنتظر عجل الله فرجه وتحدث فيه تغييرات كبيرة في العالم.[٥]

والسبب في تسمية فترة نبوة نبي الإسلام صلى الله عليه وآله على أنها آخر الزمان هو أن المسلمين يؤمنون بأنه خاتم الأنبياء وأن شريعته صالحة حتى نهاية العالم. إلى جانب ذلك، هناك روايات عن الرسول الكريم صلى الله عليه وآله، يذكر فيها صراحة أن فترة نبوته مرتبطة بالقيامة وآخر جزء من حياة الكرة الأرضية. ونقرأ في رواية أخرى نقلت عن طريق أهل السنة:

إنّه قال بعد ما صلّى العصر ما بقي من الدّنيا فيما مضى منها إلاّ كما بقي من يومكم هذا فيما مضى منه و أنّه قال لأصحابه: بعثت و أنا و السّاعة كهاتين و جمع بين السّبابة و الوسطى.[٦]

وكما قيل، فإن المعنى الثاني الذي يستخدم فيه مصطلح آخر الزمان هو عصر ظهور الإمام المهدي عجل الله فرجه. وفقاً للتعاليم الإسلامية، عشية ظهور المهدي المنتظر عجل الله فرجه، التي يشار إليها باسم آخر الزمان، سيقع العالم في فتن واضطرابات وأزمات سياسية واجتماعية وبيئية مختلفة، ويغطي الظلم العالم كله. يستمر هذا الوضع حتى ظهور قائم آل محمد عجل الله فرجه وبظهوره يحرر العالم من ظلام الظلم والفساد والدمار.

إن معرفة آخر الزمان بهذا المعنى هي ضرورة لا يمكن إنكارها في عصرنا؛ لأن العديد من علامات نهاية العالم يمكن رؤيتها في هذا العصر، ويخشى أنه حتى مع القليل من الإهمال من جانبنا، سنغرق أيضاً في زوبعة الفتن الشاملة، والتي ستبتلع الجميع وفقاً للروايات، ولن يكون هناك أحد في مأمن منها.[٧] لذلك من الضروري أن يتأمل الجميع مرة أخرى في روايات آخر الزمان، وأن يحققوا فهماً أعمق وأوسع لعلاماته وخصائصه، لحماية أنفسهم من الفتن والاضطرابات في هذا العصر وحتى ظهور حكومة الحق.

٢. علامات آخر الزمان

وبحسب ما قيل، نستعرض هنا بعض علامات آخر الزمان في روايتين:

جاء في رواية نقلها **سلمان الفارسي** عن نبي الإسلام صلى الله عليه وآله:

حججنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله حجّة الوداع فأخذ باب الكعبة ثمّ أقبل علينا بوجهه فقال: «**أ لا أخبركم بأشراط السّاعة؟**»

و كان أدنى النّاس منه يومئذ سلمان رضي الله عنه فقال: **بلى يا رسول الله**. فقال:

«إنّ من أشراط القيامة إضاعة الصّلاة و اتّباع الشّهوات و الميل مع الأهواء و تعظيم المال و بيع الدّين بالدّنيا فعندها يذاب قلب المؤمن و جوفه كما يذوب الملح في الماء ممّا يرى من المنكر فلا يستطيع أن يغيّره.»

– و إنّ هذا لكائن يا رسول الله؟

– «إي و الّذي نفسي بيده يا سلمان إنّ عندها أمراء جورةً و وزراء فسقةً و عرفاء ظلمة و أمناء خونة.»

– و إنّ هذا لكائن يا رسول الله؟

– «إي و الّذي نفسي بيده يا سلمان إنّ عندها يكون المنكر معروفاً و المعروف منكراً و اؤتمن الخائن و يخوّن الأمين و يصدّق الكاذب و يكذّب الصّادق.»

– و إنّ هذا لكائن يا رسول الله؟

– «إي و الّذي نفسي بيده يا سلمان فعندها إمارة النّساء و مشاورة الإماء و قعود الصّبيان على المنابر و يكون الكذب طرفاً و الزّكاة مغرماً و الفيء مغنماً و يجفو الرّجل والديه و يبرّ صديقه و يطلع الكوكب المذنب.»

– و إنّ هذا لكائن يا رسول الله؟

– «إي و الّذي نفسي بيده يا سلمان و عندها تشارك المرأة زوجها في التّجارة و يكون المطر قيظاً و يغيظ الكرام غيظاً و يحتقر الرّجل المعسر فعندها يقارب الأسواق إذا قال هذا لم أبع شيئاً و قال هذا لم أربح شيئاً فلا ترى إلّا ذامّاً لله.»

– و إنّ هذا لكائن يا رسول الله؟

– «إي و الّذي نفسي بيده يا سلمان فعندها يليهم أقوام إن تكلّموا قتلوهم و إن سكتوا استباحوهم ليستأثروا بفيئهم و ليطؤنّ حرمتهم و ليسفكنّ دماءهم و لتملأنّ قلوبهم رعباً فلا تراهم إلّا وجلين خائفين مرعوبين مرهوبين.»

– و إنّ هذا لكائن يا رسول الله؟

– «إي و الّذي نفسي بيده يا سلمان إنّ عندها يؤتى بشيء من المشرق و شيء من المغرب يلوّن أمّتي فالويل لضعفاء أمّتي منهم و الويل لهم من الله لا يرحمون صغيراً و لا يوقّرون كبيراً و لا يتجاوزون عن مسيء أخبارهم خناء جنّتهم جنّة الآدميّين و قلوبهم قلوب الشّياطين.»

– سلمان و إنّ هذا لكائن يا رسول الله؟

– «إي و الّذي نفسي بيده يا سلمان و عندها تكتفي الرّجال بالرّجال و النّساء بالنّساء و يغار على الغلمان كما يغار على الجارية في بيت أهلها و يشبّه الرّجال بالنّساء و النّساء بالرّجال و يركبن ذوات الفروج السّروج فعليهنّ من أمّتي لعنة الله.»

– و إنّ هذا لكائن يا رسول الله؟

– «إي و الّذي نفسي بيده يا سلمان إنّ عندها تزخرف المساجد كما تزخرف البيع و الكنائس و يحلّى المصاحف و تطول المنارات و تكثر الصّفوف بقلوب متباغضة و ألسن مختلفة.»

– و إنّ هذا لكائن يا رسول الله؟

– «إي و الّذي نفسي بيده و عندها تحلّى ذكور أمّتي بالذّهب و يلبسون الحرير و الدّيباج و يتّخذون جلود النّمور صفاقاً.»

– و إنّ هذا لكائن يا رسول الله؟

– «إي و الّذي نفسي بيده يا سلمان و عندها يظهر الرّبا و يتعاملون بالغيبة و الرّشاء و يوضع الدّين و ترفع الدّنيا.»

– و إنّ هذا لكائن يا رسول الله؟

– «إي و الّذي نفسي بيده يا سلمان و عندها يكثر الطّلاق فلا يقام لله حدّ و لن يضرّ الله شيئاً.»

– و إنّ هذا لكائن يا رسول الله؟

– «إي و الّذي نفسي بيده يا سلمان و عندها تظهر القينات و المعازف و يليهم أشرار أمّتي.»

– و إنّ هذا لكائن يا رسول الله؟

– «إي و الّذي نفسي بيده يا سلمان و عندها تحجّ أغنياء أمّتي للنّزهة و تحجّ أوساطها للتّجارة و تحجّ فقراؤهم للرّياء و السّمعة فعندها يكون أقوام يتعلّمون القرآن لغير الله و يتّخذونه مزامير و يكون أقوام يتفقّهون لغير الله و يكثر أولاد الزّنا و يتغنّون بالقرآن و يتهافتون بالدّنيا.»

– و إنّ هذا لكائن يا رسول الله؟

– «إي و الّذي نفسي بيده يا سلمان ذاك إذا انتهكت المحارم و اكتسبت المآثم و سلّط الأشرار على الأخيار و يفشو الكذب و تظهر اللّجاجة و يفشو الحاجة و يتباهون في اللّباس و يمطرون في غير أوان المطر و يستحسنون الكوبة و المعازف و ينكرون الأمر بالمعروف و النّهي عن المنكر حتّى يكون المؤمن في ذلك الزّمان أذلّ من الأمة و يظهر قرّاؤهم و عبّادهم فيما بينهم التّلاوم فأولئك يدعون في ملكوت السّماوات الأرجاس و الأنجاس.»

– و إنّ هذا لكائن يا رسول الله؟

ف– «إي و الّذي نفسي بيده يا سلمان فعندها لا يخشى الغنيّ إلّا الفقر حقّ إنّ السّائل ليسأل فيما بين الجمعتين لا يصيب أحداً يضع في يده شيئاً.»

– و إنّ هذا لكائن يا رسول الله؟

– «إي و الّذي نفسي بيده يا سلمان فعندها لا يخشى الغنيّ إلّا الفقر حقّ إنّ السّائل ليسأل فيما بين الجمعتين لا يصيب أحداً يضع في يده شيئاً.»

– و إنّ هذا لكائن يا رسول الله؟

– «إي و الّذي نفسي بيده يا سلمان عندها يتكلّم الرّويبضة.

– و ما الرّويبضة يا رسول الله فداك أبي و أمّي؟

– «يتكلّم في أمر العامّة من لم يكن يتكلّم فلم يلبثوا إلّا قليلاً...»[8]

ب) الرواية الثانية، رواية مفصلة عن الإمام الصادق عليه السلام في كتاب «الكافي». في بداية هذه الرواية، يقول الإمام الصادق عليه السلام رداً على تساؤل أحد أصحابه حول معاملة **المنصور العباسي** المهينة له: **إلى متى هؤلاء يملكون أو متى الرّاحة منهم، فقال: «أ ليس تعلم أنّ لكلّ شيء مدّةً؟»** قال: بلى. فقلت: «**هل ينفعك علمك إنّ هذا الأمر إذا جاء كان أسرع من طرفة العين إنّك لو تعلم حالهم عند الله عزّ و جلّ و كيف هي كنت لهم أشدّ بغضاً و لو جهدت و جهد أهل الأرض أن يدخلوهم في أشدّ ما هم فيه من الإثم لم يقدروا فلا يستفزّنّك الشّيطان فإنّ العزّة لله و لرسوله و للمؤمنين و لكنّ المنافقين لا يعلمون أ لا تعلم أنّ من انتظر أمرنا و صبر على ما يرى من الأذى و الخوف هو غداً في زمرتنا.»**[9]

ثم يعدد عليه السلام أكثر من مائة علامة من علامات نهاية العالم أو العصر الذي سينتهي بقيام الحكومة الصالحة على النحو التالي:

«**١. فإذا رأيت الحقّ قد مات و ذهب أهله،**

٢. و رأيت الجور قد شمل البلاد،

٣. و رأيت القرآن قد خلق و أحدث فيه ما ليس فيه و وجّه على الأهواء،

٤. و رأيت الدّين قد انكفأ كما ينكفئ الإناء–،

٥. و رأيت أهل الباطل قد استعلوا على أهل الحقّ،

٦. و رأيت الشّرّ ظاهراً لا ينهى عنه و يعذر أصحابه،

٧. و رأيت الفسق قد ظهر و اكتفى الرّجال بالرّجال و النّساء بالنّساء،

٨. و رأيت المؤمن صامتاً لا يقبل قوله،

٩. و رأيت الفاسق يكذب و لا يردّ عليه كذبه و فريته،

١٠. و رأيت الصّغير يستحقر بالكبير،

١١. و رأيت الأرحام قد تقطّعت،

١٢. و رأيت من يمتدح بالفسق يضحك منه و لا يردّ عليه قوله،

١٣. و رأيت الغلام يعطي ما تعطي المرأة،

١٤. و رأيت النّساء يتزوّجن النّساء،

١٥. و رأيت الثّناء قد كثر،

١٦. و رأيت الرّجل ينفق المال في غير طاعة الله فلا ينهى و لا يؤخذ على يديه،

١٧. و رأيت النّاظر يتعوّذ بالله ممّا يرى المؤمن فيه من الاجتهاد،

١٨. و رأيت الجار يؤذي جاره و ليس له مانع،

١٩. و رأيت الكافر فرحاً لما يرى في المؤمن مرحاً لما يرى في الأرض من الفساد،

٢٠. و رأيت الخمور تشرب علانيةً و يجتمع عليها من لا يخاف الله عزّ و جلّ،

٢١. و رأيت الآمر بالمعروف ذليلاً،

٢٢. و رأيت الفاسق فيما لا يحبّ الله قوياً محموداً،

٢٣. و رأيت أصحاب الآيات يحقّرون و يحتقر من يجبّهم،

٢٤. و رأيت سبيل الخير منقطعاً و سبيل الشّرّ مسلوكاً،

٢٥. و رأيت بيت الله قد عطّل و يؤمر بتركه،

٢٦. و رأيت الرّجل يقول ما لا يفعله،

٢٧. و رأيت الرّجال يتسمّنون للرّجال و النّساء للنّساء،

٢٨. و رأيت الرّجل معيشته من دبره و معيشة المرأة من فرجها،

٢٩. و رأيت النّساء يتّخذن المجالس كما يتّخذها الرّجال،

٣٠. و رأيت التّأنيث في ولد العبّاس قد ظهر و أظهروا الخضاب و أمشطوا كما تمتشط المرأة لزوجها و أعطوا الرّجال الأموال على فروجهم و تنوفس في الرّجل و تغاير عليه الرّجال و كان صاحب المال أعزّ من المؤمن و كان الرّبا ظاهراً لا يعيّر و كان الزّنا تمتدح به النّساء،

٣١. و رأيت المرأة تصانع زوجها إلى نكاح الرّجال،

٣٢. و رأيت أكثر النّاس و خير بيت من يساعد النّساء على فسقهنّ،

٣٣. و رأيت المؤمن محزوناً محتقراً ذليلاً و رأيت البدع و الزّنا قد ظهر،

٣٤. و رأيت النّاس يعتدّون بشاهد الزّور،

٣٥. و رأيت الحرام يحلّل،

٣٦. و رأيت الحلال يحرّم،

٣٧. و رأيت الدّين بالرّأي و عطّل الكتاب و أحكامه،

٣٨. و رأيت اللّيل لا يستخفى به من الجرأة على الله،

٣٩. و رأيت المؤمن لا يستطيع أن ينكر إلّا بقلبه،

٤٠. و رأيت العظيم من المال ينفق في سخط الله عزّ و جلّ،

٤١. و رأيت الولاة يقرّبون أهل الكفر و يباعدون أهل الخير،

٤٢. و رأيت الولاة يرتشون في الحكم،

٤٣. و رأيت الولاية قبالةً لمن زاد،

٤٤. و رأيت ذوات الأرحام ينكحن و يكتفى بهنّ،

٤٥. و رأيت الرّجل يقتل على التّهمة و على الظّنّة و يتغاير على الرّجل الذّكر فيبذل له نفسه و ماله،

٤٦. و رأيت الرّجل يعيّر على إتيان النّساء،

٤٧. و رأيت الرّجل يأكل من كسب امرأته من الفجور يعلم ذلك و يقيم عليه،

٤٨. و رأيت المرأة تقهر زوجها و تعمل ما لا يشتهي و تنفق على زوجها،

٤٩. و رأيت الرّجل يكري امرأته و جاريته و يرضى بالدّنيّ من الطّعام و الشّراب،

٥٠. و رأيت الأيمان بالله عزّ و جلّ كثيرةً على الزّور،

٥١. و رأيت القمار قد ظهر،

٥٢. و رأيت الشّراب تباع ظاهراً ليس عليه مانع،

٥٣. و رأيت النّساء يبذلن أنفسهنّ لأهل الكفر،

٥٤. و رأيت الملاهي قد ظهرت يمرّ بها لا يمنعها أحد أحداً و لا يجترئ أحد على منعها،

٥٥. و رأيت الشّريف يستذلّه الّذي يخاف سلطانه،

٥٦. و رأيت أقرب النّاس من الولاة من يمتدح بشتمنا أهل البيت،

٥٧. و رأيت من يحبّنا يزوّر و لا يقبل شهادته،

٥٨. و رأيت الزّور من القول يتنافس فيه،

٥٩. و رأيت القرآن قد ثقل على النّاس استماعه و خفّ على النّاس استماع الباطل،

٦٠. و رأيت الجار يكرم الجار خوفاً من لسانه،

٦١. و رأيت الحدود قد عطّلت و عمل فيها بالأهواء،

٦٢. و رأيت المساجد قد زخرفت،

٦٣. و رأيت أصدق النّاس عند النّاس المفتري الكذب،

٦٤. و رأيت الشّرّ قد ظهر و السّعي بالنّميمة،

٦٥. و رأيت البغي قد فشا،

٦٦. و رأيت الغيبة تستملح و يبشّر بها النّاس بعضهم بعضاً،

٦٧. و رأيت الحجّ و الجهاد لغير الله،

٦٨. و رأيت السّلطان يذلّ للكافر المؤمن،

٦٩. و رأيت الخراب قد أديل من العمران،

٧٠. و رأيت الرّجل معيشته من بخس المكيال و الميزان،

٧١. و رأيت سفك الدّماء يستخفّ بها،

٧٢. و رأيت الرّجل يطلب الرّئاسة لعرض الدّنيا و يشهر نفسه بخبث اللّسان ليتّقى و تسند إليه الأمور،

٧٣. و رأيت الصّلاة قد استخفّ بها،

٧٤. و رأيت الرّجل عنده المال الكثير لم يزكّه منذ ملكه،

٧٥. و رأيت الميّت ينشر من قبره و يؤذى و تباع أكفانه،

٧٦. و رأيت الهرج قد كثر،

٧٧. و رأيت الرّجل يمسي نشوان و يصبح سكران لا يهتمّ بما يقول النّاس فيه،

٧٨. و رأيت البهائم تنكح،

٧٩. و رأيت البهائم تفرس بعضها بعضاً،

٨٠. و رأيت الرّجل يخرج إلى مصلّاه و يرجع و ليس عليه شيء من ثيابه،

٨١. و رأيت قلوب النّاس قد قست و جمدت أعينهم و ثقل الذّكر عليهم،

٨٢. و رأيت السّحت قد ظهر بتنافس فيه،

٨٣. و رأيت المصلّي إنّما يصلّي ليراه النّاس،

٨٤. و رأيت الفقيه يتفقّه لغير الدّين يطلب الدّنيا و الرّئاسة،

٨٥. و رأيت النّاس مع من غلب،

٨٦. و رأيت طالب الحلال يذمّ و يعيّر و طالب الحرام يمدح و يعظّم،

٨٧. و رأيت الحرمين يعمل فيهما بما لا يحبّ الله لا يمنعهم مانع و لا يحول بينهم و بين العمل القبيح أحد،

٨٨. و رأيت المعازف ظاهرةً في الحرمين،

٨٩. و رأيت الرّجل يتكلّم بشيء من الحقّ و يأمر بالمعروف و ينهى عن المنكر فيقوم إليه من ينصحه في نفسه فيقول هذا عنك موضوع،

٩٠. و رأيت النّاس ينظر بعضهم إلى بعض و يقتدون بأهل الشّرور،

٩١. و رأيت مسلك الخير و طريقه خالياً لا يسلكه أحد،

٩٢. و رأيت الميّت يهزأ به فلا يفزع له أحد،

٩٣. و رأيت كلّ عام يحدث فيه من البدعة و الشّرّ أكثر ممّا كان،

٩٤. و رأيت الخلق و المجالس لا يتابعون إلّا الأغنياء،

٩٥. و رأيت المحتاج يعطى على الضّحك به و يرحم لغير وجه الله،

٩٦. و رأيت الآيات في السّماء لا يفزع لها أحد،

٩٧. و رأيت النّاس يتسافدون كما تسافد البهائم لا ينكر أحد منكراً تخوّفاً من النّاس،

٩٨. و رأيت الرّجل ينفق الكثير في غير طاعة الله و يمنع اليسير في طاعة الله،

٩٩. و رأيت العقوق قد ظهر و استخفّ بالوالدين و كانا من أسوء النّاس حالاً عند الولد و يفرح بأن يفتري عليهما،

١٠٠. و رأيت النّساء قد غلبن على الملك و غلبن على كلّ أمر لا يؤتى إلّا ما لهنّ فيه هوًى،

١٠١. و رأيت ابن الرّجل يفتري على أبيه و يدعو على والديه و يفرح بموتهما،
١٠٢. و رأيت الرّجل إذا مرّ به يوم و لم يكسب فيه الذّنب العظيم من فجور أو بخس مكيال أو ميزان أو غشيان حرام أو شرب مسكر كئيباً حزيناً يحسب أنّ ذلك اليوم عليه وضيعة من عمره،
١٠٣. و رأيت السّلطان يحتكر الطّعام،
١٠٤. و رأيت أموال ذوي القربى تقسم في الزّور و يتقامر بها و يشرب بها الخمور،
١٠٥. و رأيت الخمر يتداوى بها و توصف للمريض و يستشفى بها،
١٠٦. و رأيت النّاس قد استووا في ترك الأمر بالمعروف و النّهي عن المنكر و ترك التّديّن به،
١٠٧. و رأيت رياح المنافقين و أهل النّفاق دائمةً و رياح أهل الحقّ لا تحرّك،
١٠٨. و رأيت الأذان بالأجر و الصّلاة بالأجر،
١٠٩. و رأيت المساجد محتشيةً ممّن لا يخاف الله مجتمعون فيها للغيبة و أكل لحوم أهل الحقّ و يتواصفون فيها شراب المسكر،
١١٠. و رأيت السّكران يصلّي بالنّاس فهو لا يعقل و لا يشان بالسّكر و إذا سكر أكرم و اتّقي و خيف و ترك لا يعاقب و يعذر بسكره،
١١١. و رأيت من أكل أموال اليتامى يحدّث بصلاحه،
١١٢. و رأيت القضاة يقضون بخلاف ما أمر الله،
١١٣. و رأيت الولاة يأتمنون الخونة للطّمع،
١١٤. و رأيت الميراث قد وضعته الولاة لأهل الفسوق و الجرأة على الله يأخذون منها و يخلّونهم و ما يشتهون،
١١٥. و رأيت المنابر يؤمر عليها بالتّقوى و لا يعمل القائل بما يأمر،
١١٦. و رأيت الصّلاة قد استخفّ بأوقاتها،
١١٧. و رأيت الصّدقة بالشّفاعة لا يراد بها وجه الله و تعطى لطلب النّاس،
١١٨. و رأيت النّاس همّهم بطونهم و فروجهم لا يبالون بما أكلوا و بما نكحوا،
١١٩. و رأيت الدّنيا مقبلةً عليهم،
١٢٠. و رأيت أعلام الحقّ قد درست.»[١٠]

بعد توقع هذه الأحداث يخاطب الإمام الصادق عليه السلام الراوي قائلاً:
«فكن على حذر و اطلب من الله عزّ و جلّ النّجاة و اعلم أنّ النّاس في سخط الله عزّ و جلّ و إنّما يمهلهم لأمر يراد بهم فكن مترقّباً و اجتهد ليراك الله عزّ و جل في خلاف ما هم عليه فإن نزل بهم العذاب و كنت فيهم عجّلت إلى رحمة الله و إن أخّرت ابتلوا و كنت قد خرجت ممّا هم فيه من الجرأة على الله عزّ و جلّ و اعلم أنّ الله لا يضيع أجر المحسنين و أن رحمت الله قريب من المحسنين.»[١١]

٣. آمال آخر الزمان

بالإضافة إلى الروايات المذكورة التي ذم فيها أهل آخر الزمان ولم يذكر فيها إلا صفاتهم السلبية، هناك أيضاً روايات تمدح فيها جماعات من الناس في آخر الزمان، لدرجة أنه يشار إليهم بـ «إخوة رسول الله». إنهم ليسوا إلا أولئك الذين يحافظون على دينهم وإيمانهم على الرغم من كل مشقات وصعوبات عصر الغيبة ويثبتون على عهدهم الإلهي. ومن بين هذه الروايات يمكننا الإشارة إلى مايلي:

١. يروي **أبو بصير** عن أبي جعفر الإمام محمد الباقر عليه السلام أنه قال:
«قال رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم و عنده جماعة من أصحابه: «أللّهمّ لقّني إخواني» مرّتين فقال من حوله من أصحابه: أما نحن إخوانك يا رسولالله؟ فقال: لا، إنّكم أصحابي، و إخواني قوم في آخر الزّمان آمنوا و لميروني، لقد عرّفنيهم الله بأسمائهم و أسماء آبائهم و أرحام أمّهاتهم. لأحدهم أشدّ بقيّةً على دينه من خرط القتاد[١٢] **في اللّيلة الظلماء. أو كالقابض على جمر الغضاء**[١٣] **أولئك مصابيح الدّجى، ينجيهم الله من كلّ فتنة غبراء مظلمة.»**[١٤]

وفقاً لهذا الرواية، من الممكن أن نفهم مكانة المؤمنين الراسخين في آخر الزمان.

٢. وفي رواية أخرى نقلت عن الإمام الصادق عليه السلام، أشار عليه السلام إلى آخر الزمان بعبارة «أقرب ما يكون العباد من الله»:
أقرب ما يكون العباد من الله. جلّ ذكره. و أرضى ما يكون عنهم إذا افتقدوا حجّة الله – جلّ و عزّ – و لم يظهر لهم و لم يعلموا مكانه و هم في ذلك يعلمون أنّه لمتبطل حجّة الله – جلّ ذكره – و لا ميثاقه، فعندها فتوقّعوا الفرج صباحا و مساءً، فإنّ أشدّ ما يكون غضب الله على أعدائه إذا افتقدوا حجّته و لم يظهر لهم، قد علم أنّ أوليائه لايرتابون، ولو علم أنّهم يرتابون ما غيّب حجّته عنهم طرفة عين...[١٥].

نستنتج من هذه الرواية أن آخر الزمان وعصر الغيبة، ورغم أنه يمكن أن يكون عصر الهجران ورمزاً للبعد عن المحبوب، إلا أنه يمكن أن يكون كذلك فرصة لتقرب العباد من الله وكسب المزيد من رضاه، ولكن شرط أن نؤمن بمعتقداتنا، فلنصمد ونتخذ خطوات أكثر رسوخاً في طريق اكتساب معرفة حجة الله.

٣. عن **عبد الله بن سنان** أحد أصحاب الإمام الصادق عليه السلام أنه قال لهم ذات يوم:
«ستصيبكم شبهة فتبقون بلا علم يرى و لا إمام هدىً، لاينجو منها إلاّ من دعا بدعاء الغريق.»
قلت كيف دعاء الغريق؟ قال:
«تقول: يا الله يا رحمن يا رحيم يا مقلّب القلوب ثبّت قلبي على دينك.»[١٦]

نعم، في نهاية العالم وفي عصر الغيبة الغريب، ستأتي موجات الشك والفتنة من جميع الجهات، وقبل أن يعود الإنسان إلى

رشده، سوف يتقلب مرتبكاً ويضيع مثل سفينة محطمة في قلب البحر اللامتناهي، ولكن هناك دائما بارقة من الأمل لإنقاذ هذا الغريق اليائس من بحر الفتنة والشكوك. إن بارقة الأمل هذه ليست سوى التماس من الله سبحانه تعالى للهداية والخلاص والالتزام الصادق بولاية الأئمة المعصومين عليهم السلام.

الهوامش:

١. «قاموس معين الفارسي»، ج ١، ص ٣٤.
٢. «قاموس دهخدا»، ج ١، ص ٤٢.
٣. انظر: «بحار الأنوار»، ج ٦، صص٢٩٥-٣١٦ و ج ٥٢، صص١٨١-٢٧٨؛ «صحيح البخاري»، ج ٨، كتاب الفتن، صص٨٦-١٠٤؛ ابن ماجة، «سنن ابن ماجة»، ج ١، ص ٤٩؛ «مسند أحمد»، ج ٣، ص ٤٥؛ «سنن أبي داود»، ج ٣، صص٩٧-١٢٨؛ «صحيح مسلم»، ج ٩، صص٣٢٥-٤٢٦ و ج ١، ص ٧٥، فتنة الأحلاس.
٤. لمزيد من المعلومات في هذا المجال، انظر: إبراهيم شفيعي سروستاني، «آخر الزمان في الأعمال الإسلامية» في كتاب النبوءات وآخر الزمان، (مجموعة من المقالات).
٥. «الموسوعة الإسلامية الكبرى»، ط ١، طهران، مركز الموسوعة الإسلامية الكبرى، ١٩٨٨م.، ج ١، ص ١٣٤.
٦. «تاريخ الطبري»، ج ١، ص ١١١٠.
٧. انظر: ابن كثير الدمشقي، «النهاية في الفتن والملاحم»، تصحيح: أحمد عبد الشافي، ط ٢، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٣هـ.، ص ٣٦، «فتنة الأحلاس».
٨. بحار الأنوار، ج ٦، صص ٣٠٥-٣٠٩، ح ٤٦؛ «منتخب الأثر»، ج ٣، صص ٣٠-٣٣، ح٩٢٠.
٩. «الكافي»، ج ٨، صص ٣٧، ح ٤٧؛ «بحار الأنوار»، ج ٥٢، ص ٢٥٦، ح ١٤٧.
١٠. «الكافي»، ج ٨، صص ٣٧-٤٢، ح ٤٧؛ «بحار الأنوار»، ج ٥٢، صص ٢٥٥-٢٦٠.
١١. «الكافي»، ج ٨، ص ٤٢، ح٤٧؛ «بحار الأنوار»، ج ٥٢، ص ٢٦٠.
١٢. «خرط القتاد» إشارة إلى المشقات. والخرط يعني السحب من أعلى الغصن إلى نهايته، والقتاد: نبات به أشواك كثيرة. ولأن لمس أغصان هذا النبات وإزالة أشواكه أمر صعب ومرهق للغاية، فإن العرب يشبهون أي عمل شاق بهذا الفعل، وأصبحت هذه الجملة مثلاً يقولون فيه: «دون هذا الأمر خرط القتاد»-: «قاموس دهخدا»، مادة خرط؛ «قاموس لاروس (عربي – فارسي)»، مادة «خرط» و «قتاد».
١٣. كما أن «جمر الغضاء» إشارة إلى صعوبة العمل. والجمر هو القطع الملتهبة من النار، والغضاء هي شجرة تسمى أيضاً الأثل. إن خشب هذه الشجرة صلب جداً وقابل للاشتعال كثيراً، وبالتالي فإن العرب يقارنون المهام الصعبة جداً بإمساك الجمرات مشتعلة من خشب هذه الشجرة. انظر: المصدر نفيه، مادة «غضا».
١٤. «بحار الأنوار»، ج ٥٢، صص١٢٣ و ١٢٤، ح ٨.
١٥. «الكافي»، ج ١، ص ٣٣٣، ح ١؛ «كمال الدين وتمام النعمة»، ج ٢، باب ٣٣، ص ٣٣٩، ح ١٦.
١٦. «كمال الدين وتمام النعمة»، ج ٢، باب ٣٣، صص ٣٥١ و ٣٥٢، ح ٤٩.

إسماعيل شفيعي سروستاني

ضرورة خفض الغيبة[1]

«فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ»

نقل **المفضّل بن عمر** عن الإمام الصادق عليه السلام:

«إذا قام القائم عجل الله فرجه قال ففررت منكم لمّا خفتكم فوهب لي ربّي حكما وجعلني من المرسلين.»[2 و3]

هناك الكثير من الكلام والروايات عن سر الغَيْبَة، وتمت دراسة الموضوع من أوجه مختلفة؛ بما في ذلك، أن الغيبة هي سنة بين الأنبياء والأوصياء وفرصة لاختبار الناس، وقياس الشروط اللازمة للظهور، والاختفاء وبقاء الإمام في مأمن وموضوعات أخرى.

وفي سياق الكلام أعلاه، فان الإمام وبعد واقعة الظهور يكشف النقاب عن الأسرار ويبيّن أن الخوف من أداء وأفعال الناس، يشكل أحد أسباب الغيبة.

وجليّ أنه بعد شهادة أحد عشر إماما المختارين من أوصياء رسول الله صلى الله عليه وآله، فان الله تعالى ومن أجل الحفاظ على آخر وصي رسول الله صلى الله عليه وآله والإمام المبين، أصدر أمرا بالغيبة، إلى أن يتهافت الناس بإخلاص وصفاء قلب على الإمام ليعيدوا الحق الغائب.

وحسبما بيّنا سابقا، فان الإمام بمنزلة قلب عالم الإمكان، يجب أن يبقى بالضرورة ودائما بين العالم وسكان عالم الإمكان حتى وقوع القيامة الكبرى، لكي لا تزول الحلقة الوسيطة بين الخلق والخالق وواسطة فيض حضرة رب الأرباب، إن هذا الخفاء، بما يسهم في جعل الأمام سليما وفي أمان ولا يزيل إمكانية تمتع عامة المخلوقات والكائنات بما فيها الكائنات غير المرئية سواء الملك والجن والحيوانات والنباتات وسائر الكائنات الساكنة في سائر الكواكب والنجوم، وأن يظل مسار هداية الطالبين والمؤمنين مفتوحا. وإلى حين تزول عقبات الظهور ويخرج الإمام من خلف ستارة الغيبة.

وتبيانا لسرّ الغيبة واختفاء الامام عن أعين الأغيار، فقد وردت أدلة مختلفة على لسان المعصومين عليهم السلام. وقد سلط المؤلف في كتاب «نهاية الغيبة وسنة الغيبة لدى الأنبياء السلف»[4] الضوء على الأوجه المختلفة لهذا الموضوع.

وقد بيّنت الروايات، جزاء أعمال الأمم واختبار الناس وخوف الامام من القتل على يد الناس (مثلما حدث للأئمة الاحد عشر من قبله) وفقدان جهوزية الناس لقبول الإمام ومواكبته لجعل الامام مبسوط اليد وممارسة الولاية من قبله حتى إبادة وزوال كافة صور الكفر والشرك، وطبعا فان الله عليم بسائر الأسرار الخفية

وستتكشف أثناء الظهور.

وقال الإمام في توقيع شريف متوجها إلى الشيخ المفيد:

«... فليعمل كلّ امرئ منكم بما يقرب به من محبّتنا و يتجنّب ما يدنيه من كراهتنا و سخطنا فإنّ أمرنا بغتة فجاءة حين لا تنفعه توبة و لا ينجيه من عقابنا ندم على حوبة...»[5]

والشيخ المفيد محمّد بن محمّد النعمان (٣٣٦هـ .ق. أو ٣٣٨-٤١٣هـ .ق.)، متكلم وفقيه الإمامية وكان متفوقا في عصره في علم الكلام، ويؤتى على ذكره كرئيس متكلمي الشيعة وقيل أن مؤلفاته تصل حسب «فهرس النجاشي» إلى ١٧٥ كتابا ورسالة؛ لكن ما يميزه عن باقي فقهاء ومتكلمي عصره وما بعده، هو تواصله مع الساحة المقدسة لحضرة صاحب الزمان عجل الله فرجه.

وقد نقل **الشيخ الطبرسي** في كتابه الشهير «الاحتجاج» ثلاثة تواقيع[6] عن حضرة ولي العصر عجل الله فرجه، وقد صدرت على شرف الشيخ المفيد، وجعله الإمام مشمولا بعنايته الخاصة. إن خطابات الإمام بعبارات مثل:

«للأخ السّديد والوليّ الرّشيد الشّيخ المفيد...»[7]

«وسلام الله عليك أيّها النّاصر للحقّ الدّاعي إليه...»[8]

وبالتحديد في زمن الغيبة الكبرى، تميط اللثام عن مكانته الخاصة ووثاقته لدى حضرة ولي العصر عجل الله فرجه. وأعلن الإمام من خلال التوقيع الثاني عن طريق الشيخ المفيد، واجب عموم الشيعة من خلال العمل بكل ما يسهم في التقرب عن طريق حبّ أهل البيت عليهم السلام وتجنب كل الاعمال التي لا يحبذها حجة الله، ويقول أن واقعة الموت تحدث بغتة وتنتزع من الانسان مجال أي توبة وإنابة وتجعله يستحق العقاب الإلهي، وطبعا فان الإمام ينسب جزاء المسيئين وربما أن رؤيته تقوم على كون واقعة الظهور الشريفة فجائية؛ في وقت تُغلق فيه جميع سبل وطرق التوبة.

ويعلن إمام العصر عجل الله فرجه في أول توقيع، عن علمه بنكث العهود ويعرب عن استيائه من عثرات بعض الشيعة ويقول:

«فإنّا نحيط علماً بأنبائكم و لا يعزب عنّا شيءٌ من أخباركم – و معرفتنا بالذّلّ الّذى أصابكم مذ جنح كثيرٌ منكم إلى ما كان السّلف الصّالح عنه شاسعاً و نبذوا العهد المأخوذ وراء ظهورهم كأنّهم لا يعلمون إنّا غير مهملين لمراعاتكم و لا ناسين لذكركم و لو لا ذلك لنزل بكم اللّأواء و اصطلمكم الأعداء فاتّقوا الله جلّ جلاله و ظاهرونا على انتياشكم من فتنةٍ قد أنافت عليكم يهلك فيها من حمّ أجله و يحمى عنها من أدرك أمله و هى أمارةٌ لأزوف حركتنا و مباتّتكم بأمرنا و نهينا و الله متمّ نوره... و لو كره المشركون»[9]

وعلى الرغم من أن كل ما ورد في التوقيع الشريف، يستحق التأمل والتوقف عنده، لكننا نجد إجمالا أن الإمام عليه السلام وحسب الولاية التكوينية، كان على علم تام بثغرات الشيعة منذ اللحظة الأولى التي تشكلت فيها نطفة الثغرة في الذهن والرأس، وحتى نهايتها؛ رغم أن الإمام ومن منطلق اللطف والعناية، كان يراعي حالهم، ويحول دون انزلاقهم في مستنقعات البلاء والآفات.

وهذا الكلام هو وجه من تمتع عباد الله بالشمس القابعة خلف السحاب.

وقد أمر الإمام بالتقوى ويرى أن السبيل لخروج الشيعة من مستنقع الابتلاءات والامتحانات يكمن في العودة إلى الإمام وإرجاع الامور إليه وبالتالي الإعلان عن حتمية حصول واقعة الظهور الشريفة؛ **«وَ لَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُون.»**[10]

ويقول الإمام عليه السلام في التوقيع الثاني مخاطبا **الشيخ المفيد:**

«سلام عليك أيّها الوليّ المخلص في الدّين المخصوص فينا باليقين... أدام الله توفيقك لنصرة الحقّ و أجزل مثوبتك على نطقك عنّا بالصّدق... أنا زعيم بنجاة من لم يرم فيها المواطن و سلك في الطّعن منها السّبل المرضيّة...»[11]

لكن الأهم من كل شيء، هو التوقيع الثالث، ويتمثل في الإعلان عن الشروط اللازمة للظهور وإزاحة ستائر الغيبة:

«و لو أنّ أشياعنا وفّقهم الله لطاعته على اجتماع من القلوب في الوفاء بالعهد عليهم لما تأخّر عنهم اليمن بلقائنا و لتعجّلت لهم السّعادة بمشاهدتنا على حقّ المعرفة و صدقها منهم بنا فما يحبسنا عنهم إلّا ما يتّصل بنا ممّا نكرهه و لا نؤثره منهم و الله المستعان و هو حسبنا و نعم الوكيل و صلاته على سيّدنا البشير النّذير محمّد و آله الطّاهرين و سلّم و كتب في غرّة شوّال من سنة اثنتى عشرة و أربعمائة نسخة التّوقيع باليد العليا صلوات الله على صاحبها هذا كتابنا إليك أيّها الوليّ الملهم للحقّ العلىّ بإملائنا و خطّ ثقتنا فأخفه عن كلّ أحد و اطوه و اجعل له نسخة تطلع عليها من تسكن إلى أمانته من أوليائنا شملهم الله ببركتنا إن شاء الله الحمد لله و الصّلاة على سيّدنا محمّد النّبىّ و آله الطّاهرين.»[12]

ويمكن في سيرة الإمامين المعصومين عليهما السلام الإمام علي والإمام الحسين عليهما السلام الإشارة إلى تجربة التوجه نحو الناس والاستجابة لمطالبهم بعد إصرار.

وعلى الرغم من أن الإمام علي أمير المؤمنين عليه السلام اضطر لاختيار العزلة لمدة خمسة وعشرين عاما بعد رحيل النبي الأكرم صلى الله عليه وآله بسبب فقدان دعم الناس ومواكبتهم له، واصطبر بمرارة على غاصبي الخلافة، لكن وبعد مقتل عثمان وحضور حشود الناس في مقابل بيت الإمام وإصرارهم على قبوله الخلافة، فقد وافقة على خلافة وإمارة المسلمين بشروط.

لما قتل عثمان اجتمع اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله من المهاجرين والانصار فأتوا عليا فقالوا: انه لا بد للناس من إمام انا لا نجد اليوم أحدا أحق بهذا الأمر منك لا أقدم سابقة ولا أقرب قرابة من رسول الله صلى الله عليه وآله. فقال عليه السلام: لا حاجة لي في أمركم فمن اخترتم رضيت به.»[13]

وأدى إصرار الناس بالإمام لتبيان شروطه لقبول الخلافة بما في ذلك استئصال مفاسد عهد عثمان.

وقد تدفق الناس من مكان للبيعة، بحيث أن الإمام توجه إلى الناس وقال:

«و النّاس [إلي] كعرف الضّبع إليّ ينثالون عليّ من كلّ جانب حتّى لقد وطئ الحسنان و شقّ عطفاي [عطافي] مجتمعين حولي كربيضة الغنم...»[١٤]

وبعد إصرار الناس وتجمعهم، قبل الإمام الخلافة وقال:

«لو لا حضور الحاضر و قيام الحجّة بوجود النّاصر و ما أخذ الله على العلماء ألّا يقرّوا على كظّة ظالم و لا سغب مظلوم لألقيت حبلها على غاربها...»[١٥]

ورغم كل العهود والمواثيق لم يستقم الظالمون على نصرة الإمام، فقتلوه فجرا في محراب «مسجد الكوفة».

إن اضطرار الإمام الحسن المجتبى عليه السلام في قبول الصلح مع **معاوية**، بسبب عدم نصرة الناس له، يشكل مصداقا آخر على التكليف الملقى على عاتق الناس ولم يُنفذ في نصرة خليفة الله.

وآخر مثال على إقبال الناس وإدبارهم، هو دعوة أبي عبد الله الحسين عليه السلام. فقد أرسل الكوفيون ألوف الرسائل إلى الإمام ووعدوا بنصرته، بحيث انطلق الإمام بعديده وعُدته في أصعب الظروف التاريخية؛ لكن...

وبعد أن امتنع الإمام الحسين عليه السلام عن مبايعة يزيد، وغادر المدينة متوجها إلى مكة، أرسل جمع من أهالي الكوفة إليه رسالة دعوه فيه ليأتي إلى الكوفة.[١٦] ورأى البعض أن عدد الرسائل بلغ مائة وخمسين وكل رسالة متعلقة بواحد أو اثنين أو أربعة أشخاص.[١٧] واعتبر الطبري أن عدد الرسائل بلغ ثلاث وخمسين بينما قال البلاذري أنها بلغت خمسين.[١٨] وجاء في كتاب «اللهوف» **لسيد بن طاووس** أن عدد كتاب الرسائل بلغ ١٢ ألف شخص، وطبعا أن كل رسالة وقعها عدد من الأشخاص.[١٩] وقال **الشيخ عباس القمي** أن عدد الرسائل التي أرسلها الكوفيون إلى الإمام الحسين بلغ ١٢ ألف رسالة.[٢٠]

إن إدبار الناس وتجهيز جيش الكوفيين وجهوزية رماة السهام والرماح و... في صحراء كربلاء تسبب بحدوث عاشوراء عام ٦١ للهجرة والشهادة المظلومة لذرية النبي الأكرم صلى الله عليه وآله و ٧٢ من انصاره، وأريقت دمائهم في يوم حار على الأرض الساخنة واقتيدت قافلة الأسرى وهم مقيدون نحو الكوفة والشام.

وهذان المثالان البارزان، يميطان اللثام من جهة عن عواقب نكث الناس العهد، ويظهران من جهة أخرى، أن الأئمة المعصومين عليهم السلام ينتفضون في حالة إقبال ودعوة الناس لهم والإعلان عن جهوزيتهم للنصرة وذلك حسب العهد الذي أبرموه مع الله المتعال وسيتحركون نحو الناس.

وتبيانا لتراجع غيبة حجة الله بين الناس بعد إقبالهم وجزعهم وفزعهم والطلب من الله تعالى، وردت رواية عن الإمام الصادق عليه السلام:

«...فلمّا طال على بني إسرائيل العذاب ضجّوا و بكوا إلى الله أربعين صباحاً فأوحى الله إلى موسى و هارون يخلّصهم من فرعون فحطّ عنهم سبعين و مائة سنةٍ.»

و قال أبو عبد الله عليه السلام:

«هكذا أنتم لو فعلتم لفرّج الله عنّا فأمّا إذا لم تكونوا فإنّ الأمر ينتهي إلى منتهاه.»[٢١]

إن محتوى هذا الحديث – بغض النظر عن سلسلة أسانيده – يتطابق مع التعاليم الدينية. إن عدم تحديد مدة غيبة الإمام وإصرار المعصومين عليهم السلام على الدعاء للفرج وإيجاد الجهوزية لدى الناس لاستقبال الإمام، يظهر أن ثمة علاقة مباشرة بين خفض الغيبة والطلب الصادق والحميمي من قبل الناس، إن تم درك ذلك!

إن الظهور موفور السرور وتحقق أمر خلافة الصالحين في الأرض، حسب إرادة الله المتعال في فجر الخلقة، ورد في التقدير الإلهي العام. لذلك، فان المواكبة والتنسيق مع الخريطة الإلهية العامة وتجربة السعادة الدنيوية والأخروية للشيعة رهن بمعرفة الإمام ومواكبته بصدق تام.

إن الابتلاءين المتمثلين بـ «الشدة والعناء» و «انتهاء الفترة المحددة للغيبة» يظهران أن مدة الغيبة معلومة عند الله؛ مثلما أن ذنبنا وجرمنا معلومان. وبلا ريب، فان اقترف سجين قصتنا، خلال العشر سنوات من الحبس، ذنبا وجرما جديدين، فان مدة سجنه تزداد ويحرم من الحرية. وربما أن فترة الغيبة قد تكررت مرارا بسبب عملنا وفقدان الهمة اللازمة للطلب والرجاء.

إن موضوع البداء في واقعة الظهور الشريفة وتغيرها وإرجائها، يحظى بتأييد عامة العلماء الذين يدرسون ويتتبعون موضوع آخر الزمان والتمهيد للظهور.

واللافت أنه على الرغم من أن جرمنا والظلم الممارس ضد آل الله جليّ، بيد أن مدة عذابنا وجزائنا، ظلت قيد الغموض. وفي هذه حكمة؛ على سبيل المثال قيل أننا استحقينا البعد عن الإمام لـ ٧٠٠ عام أو ١٠٠٠ عام. ونقل **علي بن يقطين** عن الإمام الكاظم عليه السلام قوله:

«... فلو قيل لنا إنّ هذا الأمر لا يكون إلّا إلى مائتى سنةٍ أو ثلاثمائة سنةٍ لقست القلوب و لرجع عامّة النّاس عن الإسلام و لكن قالوا ما أسرعه و ما أقربه تألّفاً لقلوب النّاس و تقريباً للفرج.»[٢٢]

إن الاعتقاد بقرب الظهور، هو بحد ذاته سبب الفرج في واقعة الظهور. إن نثر بذور الأمل في القلوب، يسهم في جهوزية القلوب.

وألم نقرأ في آخر فقرة من «دعاء العهد»: **«إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا وَنَرَاهُ قَرِيبًا»**

إن اليأس والقنوط، هما السبب المهم لابتلاء الانسان بالمفاسد والجرائم المادية والمعنوية؛ في حين أن الله تعالى يريد من عباده أن ينظروا إلى المستقبل بنظرة مفعمة بالأمل والفلاح والفرج والعافية، وألا يسيروا على طرق اليأس والإحباط نحو الشيطان والكفر والإلحاد. إن اليأس هو حصيلة عمل الشيطان بينما الأمل، ينبع من مائدة بركة الرحمن.

وثمة نسبة وصلة وثيقة ومستقيمة بين معرفة الإمام والدعاء للإمام وطلب الفرج. إن من يُعرّف الإمام على قدر رجل وأناس مثله بقدرات وعلم ضئيلين ويفترض أن شؤون الإمام تندرج في حدود شؤون أناس يشبهونه هو ومدى حضوره ودوره في الكون والوجود بقدر مقدورات الحاكم والخليفة، فانه يراجع بسرعة وسط الأمواج الهادرة للصعاب والفقر والفاقة وأي بلاء آخر، نفسه وأناس مثله، ويطلب منهم المدد والنجاة؛ وكأنه لا يؤمن بقوة أكثر تفوقا وعين أكثر إبصارا وأذن أكثر سماعا ويد أكثر علوا؛ القوة التي تستطيع في آن تحقيق **«كُنْ فَيَكُونُ»**.

وعلى العكس، فان التعرف على المراتب العليا لمقامات وشؤون الإمام، تجتذب جميع الأعين والأبصار والأيدي نحوه وتمد يد العون والمساعدة نحوه. وتستأنس بحضوره ولا تفزع من الوحدة والغربة. وتعتبر الإمام رفيقا حميما، وقريبا جدا، ورغم علو المراتب والدرجات، فانه هو الداعم والحامي كأب عطوف ورؤوف في كل يوم وليلة ووسط كل ألم ومعاناة وبلاء.

ولا يخفى على أحد أنه بسبب غيبة حجة الله، وبقائه بعيدا عن المقامات والرتب التي خصصها الله تعالى بالحق له، واغتصاب منصب خلافته وإمارته من قبل الغاصبين، ومثلما نقرأ في «زيارة عاشور»، فان الزائر يلعن مسببي هذه الواقعة.

«وَلَعَنَ اللهُ أُمَّةً دَفَعَتكُم عَن مَقامِكُم وَ اَزالَتكُم عَن مَراتِبِكُمُ الَّتى رَتَّبَكُمُ اللهُ فيها»

وفي كل لحظة وثانية وبسبب عدم أهلية أصحاب المناصب وبُعدهم عن العدالة والأهم من كل شيء، فقدان العصمة الكلية والعلم الكلي والإذن الكلي الإلهي لديهم، فان نسبة الظلم الممارس ضد المستضعفين، ازدادت، ما يرفع أرقام وإحصاءات القتل والسرقات وتدنيس الحرمات والاعتداءات و... في أرجاء المعمورة وبين سكان الربع المسكون. ويكفي أن نجري بحثا بسيطا في الإنترنت لاستخراج أرقام وإحصاءات الجرائم أو عمليات القتل والفسق والفجور السائد بين شعوب العالم، لنصل إلى صورة واضحة عن هذا الوضع؛ وهو الذي تعتبره الآية الكريم:

«ظَهَرَ الْفَسادُ فِي الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ بِما كَسَبَتْ أَيْدِى النَّاسِ لِيُذيقَهُمْ بَعْضَ الَّذى عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُون»[23]

قال النّبيّ ﷺ: **«إذا ظهرت في أمّتي عشر خصال عاقبهم الله بعشر خصال.»**

قيل: **و ما هي يا رسول الله؟** قال ﷺ:

«إذا قلّلوا الدّعاء نزل البلاء و إذا تركوا الصّدقات كثر الأمراض و إذا منعوا الزّكاة هلكت المواشي و إذا جار السّلطان منع القطر من السّماء و إذا كثر فيهم الزّناء كثر فيهم موت الفجأة و إذا كثر الرّبا كثرت الزّلازل و إذا حكموا بخلاف ما أنزل الله تعالى سلّط عليهم عدوّهم و إذا نقضوا عهد الله ابتلاهم الله بالقتل و إذا طفّفوا الكيل أخذهم الله بالسّنين.»

ثمّ قرأ رسول الله ﷺ:

«ظَهَرَ الْفَسادُ فِي الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ بِما كَسَبَتْ أَيْدِى النَّاسِ لِيُذيقَهُمْ بَعْضَ الَّذى عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ.»[24]

ولذلك، نرى أن ثمة نسبة وعلاقة مباشرة بين تقلص عصر الغيبة من جهة وبين معرفة الإمام والرجوع إلى الإمام للخروج من المآزق والأزمات من جهة أخرى.

الهوامش:

١. الغَيْبَة في المعنى لا تعني عدم الحضور، بل الاختفاء عن الأنظار، وهذا الخفاء لا يعود إلى الإمام المبين الذي هو الظهور بعينه، بل يعود إلى الناس. بالأحرى، فان فقدان اللياقة والجدارة يؤدي إلى أن يبقى ناموس الخلفة خفيا عن أنظار الأغيار، وأن الناس وقبل أن يُرجعوا هذه الغيبة إلى أنفسهم وما يفعلون، فانهم يُرجعونها إلى الإمام. وعليه، فانهم يطلبون منه إزاحة الستار؛ في حين أن أحد أهم أسباب هذا الاختفاء يكمن في فقدان الأهلية والجدارة والجهوزية للمقابلة بين الناس.

٢. ابن بابويه الصدوق، محمّد بن علي، «كمال الدّين وتمام النعمة»، ج ١، ص ٣٢٩.

٣. سورة الشعراء، الآية ٢١.

٤. وقد صدر هذا الكتاب لدى «موعود العصر» للنشر.

٥. الطبرسي، أحمد بن علي، «الاحتجاج على أهل اللجاج»، ج ٢، ص ٤٩٨.

٦. ويطلق التوقيع على رسائل وكتابات أئمة الشيعة. وكانت التواقيع تكتب عادة بخط الأئمة وتصدر ردا على أسئلة الشيعة ومطالبهم، وتصل إلى الشيعة عن طريق شبكة الوكلاء.

٧. الطبرسي، أحمد بن علي، «الاحتجاج على أهل اللجاج»، ج ٢، ص ٤٩٧.

٨. المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٩٨.

٩. الطبرسي، أحمد بن علي، «الاحتجاج على أهل اللجاج»، ج ٢، صص ٤٩٧-٤٩٨.

١٠. سورة الصف، الآية ٩.

١١. الطبرسي، أحمد بن علي، «الاحتجاج على أهل اللجاج»، ج ٢، ص ٤٩٧.

١٢. الطبرسي، أحمد بن علي، «الاحتجاج على أهل اللجاج»، ج ٢، صص ٤٩٩.

١٣. ويكى سؤال؛ نقلا عن ابن الأثير، «الكامل في التاريخ»، بيروت، ج ٣، ص ١٩٩.

١٤. السيّد الرضي، «نهج البلاغة»، تصحيح صبحي صالح، الخطبة ٣ المعروفة بخطبة الشقشقية.

١٥. المصدر السابق.

١٦. ويكي شيعي؛ نقلا عن المفيد، محمّد بن محمّد، «الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد»، قم، سعيد بن جبير، ١٤٢٨هـ .ق.، ج ٢، صص ٣٦-٣٨.

١٧. ويكى شيعة؛ نقلا عن ابن شهرآشوب، محمّد بن علي، «مناقب آل أبي طالب عليهم السلام»، دراسة وفهرس يوسف البقاعي، بيروت، دارالأضواء، ١٤٢١هـ .ق.، ج ٥، ص ٣٢٧؛ اربلى، علي بن عيسى، «كشف الغمّة في معرفة الائمّه عليهم السلام»، بيروت، دارالأضواء، ١٤٠٥هـ .ق.، ج ٢، ص ٢٥٣.

١٨. ويكي شيعة؛ نقلا عن البلاذري، أحمد بن يحيى جابر، «أنساب الأشراف»، دراسة: سهيل زكار و رياض زركلي، بيروت، دارالفكر، ١٤١٧هـ .ق.، ج ٣، ص ٣٧٠.

١٩. ويكي شيعي؛ نقلا عن ابن طاووس، علي بن موسى، «اللهوف على قتلى الطفوف»، دراسة: فارس حسّون، طهران، دار الأسوة، الطبعة الرابعة، ١٣٨٣هـ .ش.، ص ٣٥.

٢٠. ويكي شيعة؛ نقلا عن القمي، الشيخ عبّاس، «منتهى الآمال»، قم، هجرت، ١٣٧٤هـ .ش.، ج ١، ص ٥٦٦.

٢١. العيّاشي، محمّد بن مسعود، «التفسير»، دراسة المرحوم هاشم رسولي محلّاتي، طهران، المطبعة العلمية، الطبعة الأولى، ١٣٨٠هـ.ق.، ج ٢، ص ١٥٤.

٢٢. الكليني، محمّد بن يعقوب، «الكافي»، ج ١، ص ٣١٩.

٢٣. سورة الروم، الآية ٤١.

٢٤. الشعيري، محمّد بن محمّد، «جامع الأخبار»، النجف الأشرف، مطبعة الحيدرية، الطبعة الأولى، ص ١٨٠.

المصدر: شفيعي سروستاني، إسماعيل، «السير الاستكمالي للإنسان مع الإنسان الكامل»، طهران، موعود العصر، الطبعة الأولى، ٢٠٢٤م.

خصائص أنصار الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف

د.مسعود دريس

المعرفة

من أهم صفات أنصار الإمام عليه السلام هو امتلاك معرفة عميقة بالله سبحانه وتعالى. هذه المعرفة تكون الأساس لعدم دخول الشبهات والشكوك إلى قلب الإنسان قال الإمام علي عليه السلام: «**بها رجال مؤمنون عرفوا الله حق معرفته، وهم أنصار المهدي عليه السلام في آخر الزمان.**»

الإيمان والعمل الصالح

أن ثمرة المعرفة بالله هي الإيمان والعمل الصالح. لذلك أنصار الإمام المهدي عليه السلام يمتلكون حياة مليئة بالإيمان والأخلاق ويمتلكون الصفات الإنسانية. لمعرفة أهمية هذه الخصائص يكفي بان نعرف أن الله سبحانه وتعالى عند ذكر آخر الزمان والحكومة العادلة يطرح لنا بجانبه الإيمان والعمل الصالح. قال تعالى: «**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ**»

العبادة (الذكر)

المعرفة والإيمان المتجذّران في نفوس انصار الإمام المهدي عليه السلام تدفعهم للخضوع للحق تعالى والسعي للعبودية. قال الامام الصادق عليه السلام عن عبادة و مناجاة انصار الامام المهدي عليه السلام: «**لهم بالليل أصوات كأصوات الثواكل حزناً من خشية الله تعالى. قوّام الليل، صوّام النهار، كأنما ربّاهم أبٌ واحد وأمّ واحدة.**»

قال النبي صلى الله عليه وآله: «**مع القائم صحيفة مختومة، فيها عدد أصحابه بأسمائهم و بلدانهم، و طبائعهم، و حلاهم و كناهم. هم كرّارون مجدّون في طاعة الله.**»

معرفة الإمام

من أحد خصائص أنصار الإمام هو معرفتهم العميقة بإمامهم. قال الإمام السجاد عليه السلام في هذا الصدد: «**إن أهل زمان غيبته القائلين بإمامته والمنتظرين لظهوره أفضل من أهل كل زمان.**»

هذه المعرفة العميقة لها عدة ثمار الثمرة الأولى هي عشق كل شيء يخص الإمام المهدي عليه السلام والثمرة الثانية طاعة الإمام بدون سؤال بسبب محبتهم للمنتظر.

المحبة

تمتلئ قلوب أنصار الإمام المهدي عليه السلام بالحب لهذا الإمام لدرجة أنهم يحتضنوه كجوهرة في ساحة المعركة ويفدوه بحياتهم. قال الإمام الصادق عليه السلام: «**يحفّون به يقونه بأنفسهم في الحروب.**»

الطاعة

إعطاء الأولوية لإرادة الإمام المهدي عليه السلام على إرادتهم هو سمة أخرى لأنصار الإمام. قال الإمام الصادق عليه السلام: «**لا ينامون الليل لهم دوي في صلاتهم كدوي النحل يبيتون قياماً على أطرافهم، ويصبحون على خيولهم، رهبان بالليل، ليوث بالنهار، هم أطوع له من الأمَة لسيدها.**»

أصحاب الإمام لا يتلوون ضد تلاوة ذلك الإمام ولا يتفوقون على إمامهم بحجة البدعة والاستنارة.

طلب الشهادة

قال الإمام الصادق عليه السلام: «**هم من خشية الله مشفقون يدعون بالشهادة، ويتمنون أن يقتلوا في سبيل الله.**»

قيام الإمام المهدي عليه السلام من النظرة الجغرافية من أوسع الحركات على وجه الأرض لأن حكومة ذلك الإمام عالمية وسوف تسود الكرة الأرضية برمتها لتأسيس حكومة بهذه العظمة يحتاج الإمام إلى أنصار يمتلكون الصفات المناسبة لهذا العمل الكبير.

النظرة الثاقبة

إذا أراد الإمام المهدي عليه السلام جلب العالم إلى الروحانية والنمو، فيجب على أنصار الإمام ان يمتلكوا أفكارًا رائعة ورؤية عالمية وخططًا شاملة.

الجهاد والمقاومة

في سبيل نشر الفضيلة والعدالة في الكون، هناك العديد من النخب والنشطاء الرافضين للعدالة الذين قطعوا طريق الإمام واصطفوا أمامه، فأصحابه وأنصاره هم أهل الجهاد والمقاومة في سبيل الله. قال الإمام علي عليه السلام في تفسيره الآية «**يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**»: «**وهم أصحاب القائم عليه السلام.**»

الشجاعة

إذا أصبح الجهاد والمقاومة عالمية يجب على أنصار الإمام المهدي عليه السلام أن يتحلوا بالشجاعة وتكون هذه الصفة موجودة فيهم. قال الإمام السجاد عليه السلام: «**ورجال كأن قلوبهم زبر الحديد، لايشوبها شكٌ في ذات الله، أشدُّ من الحجر...**»

الإيثار

هذه حركة واسعة للإرشاد والبناء. لذلك فقد تحمل أنصار الإمام المهدي عليه السلام المصاعب وغضوا بصرهم عن الأفراح والملذات، وبأيديهم الطيبة قدموا الخير والأفراح للآخرين هذه الأساليب من أجل تليين القلوب وإعادتهم إلى حضن مليئة بالحب والمودة الدينية.

تحمل المصاعب

أن أنصار الإمام عليه السلام من أجل تحقيق الأهداف العالمية يتحملون العديد من المصاعب والمشاكل ولكن بسبب إخلاصهم ومحبتهم وتواضعهم لا يمنون على الله بسبب مصاعب ومشقات أعمالهم. «**وَ طَالَ الْأَمَدُ بِهِمْ لِيَسْتَكْمِلُوا اَلْخِزْيَ وَ يَسْتَوْجِبُوا اَلْغِيَرَ حَتَّى إِذَا اِخْلَوْلَقَ الْأَجَلُ وَ اِسْتَرَاحَ قَوْمٌ إِلَى اَلْفِتَنِ وَ اِشْتَالُوا عَنْ لَقَاحِ حَرْبِهِمْ لَمْ يَمُنُّوا عَلَى اَللَّهِ بِالصَّبْرِ**»

القلوب المجتمعة

ابتعدت الأهواء الجسدية والأنانية عن أنصار الإمام المهدي عليه السلام واستولت مكانها الأهواء الإلهية والعبودية لله حتى أصبحت قلوبهم مجتمعة: «**كأنما رباهم أب واحد وأم واحدة، قلوبهم مجتمعة بالمحبة والنصيحة.**»

الصمود

إن الانتباه إلى وجود الموافقات الإلهية في قيام ولي العصر عليه السلام سيكون له تأثير هائل على نفسية أصحاب الإمام، كما أن توبيخ الأعداء لن يعطل عزمهم. قال الإمام علي عليه السلام في تفسير هذه الآية «**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ... وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ**»: «**هم اصحاب القائم.**»

مكافحة الظلم

من ضمن تطلعات الإمام هو قلع جذور الظلم، ومن يستطيع أن يخطو معه خطوات لقطع جذور القهر والظلم، والثبات على هذا الطريق، يجب عليه أن يبدأ بنفسه ولا يظلم غيره، ويطهر نفسه من هذه الصفة. نقرأ في دعاء الندبة: «**أَيْنَ الْمُعَدُّ لِقَطْعِ دابِرِ الظَّلَمَةِ**»

إحياء السنن

من ضمن رسالة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف إحياء السنن الإلهية لذلك أنصار الإمام أيضا يجب أن يكونوا مثل إمامهم ويهتموا بهذا الأمر.

«أَيْنَ الْمُدَّخَرُ لِتَجْدِيدِ الفَرائِضِ وَالسُّنَنِ»

إحياء القرآن الكريم

أن الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف سوف يخرج القرآن من غربته وينفض الغبار من عليه. أنصار الإمام هم أيضا من قراء القرآن الكريم وتسلل كتاب الله إلى أعماق أرواحهم ويعيشون معه. قال الإمام علي عليه السلام: **«تجلى بالتّنزيل أبصارهم ويرمى بالتّفسير في مسامعهم.»**

«اَيْنَ الْمُؤَمَّلُ لِاحْياءِ الْكِتابِ وَحُدُودِهِ»

مكافحة العصيان

أنصار الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف طاهرون من كل الملوثات أنهم يحاربون الكلام والعمل السيئ بكل أنواعه. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من خصائص المؤمنين الحقيقيين في «القرآن الكريم».

«أَيْنَ مُبِيدُ أَهْلِ الفُسُوقِ وَالعِصْيانِ وَالطُّغْيانِ»

أعزاء

يأتي الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف ليظهر كرامة وعزة المؤمنين الحقيقية عند ظهوره، ويظهر عجز وعدم استقرار وعدم تفوق جبهة الطاغوت. أولئك الذين سيتمكنون من مرافقته في السير في هذا الطريق يؤمنون بالكرامة والعزة الحقيقية للأتقياء بكل كيانهم ويعتبرون الباطل إذلالًا.

«أَيْنَ مُعِزُّ الأَوْلِياءِ وَمُذِلُّ الأَعْداء»...

فأنّه باب الله المأتي منه، والسبيل والمسلك إلى رضوانه، وهو الشفيع إلى الله تعالى، و هو اسم الله الذي أمر عباده بالتوسّل إليه.

كما ورد في الروايات، عنهم عليهم السلام في قوله تعالى:

«وَ لِلّٰهِ اَلْأَسْمٰاءُ اَلْحُسْنىٰ فَادْعُوهُ بِهٰا»:[1] **نحن و الله الأسماء الحسنى الّتي أمر الله عباده أن يدعوه بها.»**[2]

و الشواهد لهذا المطلب كثيرة، و هي واضحة لأهل البصيرة، فلنكتف بهذا المقدار، روما للإختصار.

و في البحار، عن مولانا الرضا عليه السلام، قال:

«إذا نزلت بكم شدّة فاستعينوا بنا على الله عزّ و جلّ، و هو قوله عزّ و جلّ: «وَ لِلّٰهِ اَلْأَسْمٰاءُ اَلْحُسْنىٰ فَادْعُوهُ بِهٰا»[3]

عن **قبس المصباح** في ذكر أدعية التوسل إلى الله تعالى بالأئمة عليهم السلام ذكر التوسّل بمولانا صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف بهذا العنوان:

«اللهمّ انّى اسالك بحقّ وليّك و حجّتك صاحب الزّمان الاّ اعنتنى به على جميع امورى، و كفيتنى به مؤنة كلّ موذ و طاغ و باغ، و اعنتنى به، فقد بلغ مجهودى، و كفيتنى كلّ عدوّ، و همّ و غمّ و دين، و ولدى و جميع اهلى و اخوانى، و من يعنينى امره، و خاصّتى، آمين ربّ العالمين.»[4]

و في «البحار»، عن «عدّة الداعي» عن **سلمان الفارسي**، قال:

سمعت محمّدا صلى الله عليه و آله يقول:

«إنّ الله عزّ و جلّ يقول: يا عبادي، أ و ليس من له إليكم حوائج كبار لا تجودون بها إلاّ أن يتحمّل عليكم بأحبّ الخلق إليكم، تقضونها كرامة لشفيعهم؟ ألا فاعلموا أنّ أكرم الخلق عليّ، و أفضلهم لديّ محمّدا صلى الله عليه و آله و أخوه عليّ، و من بعده الأئمّة الّذين هم الوسائل إليّ.»[5]

ألا فليدعني من همّته حاجة يريد نجحها، أودهته داهية يريد كشف ضررها، بمحمّد و آله الطيّبين الطاهرين، أقضها له أحسن ما يقضيها من تستشفعون بأعزّ الخلق عليه.[6]

الهوامش:

١. سورة الأعراف، الآية ١٨٠.
٢. «الكافي»، ج ١، ص ١٤٣، ح ٤٤؛ «البرهان»، ج ٢، ص ٦١٧، ح ٢.
٣. «الاختصاص»، ص ٢٤٦؛ «بحار الأنوار»، ج ٩٣، ص ٢٢، ح ١٧.
٤. «بحار الأنوار»، ج ٩٤، ص ٣٥.
٥. «عدّة الداعي»، ص ١٩٧؛ «بحار الأنوار»، ج ٩٤، ص ٢٢، ح ٢٠.
٦. إلى الله.

المصدر: الاصفهاني، محمد تقى، «مكيال المكارم في فوائد الدعاء للقائم عجل الله تعالى فرجه الشريف»، مؤسسة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، ج ٢، صص ٣٠٧-٣٠٩.

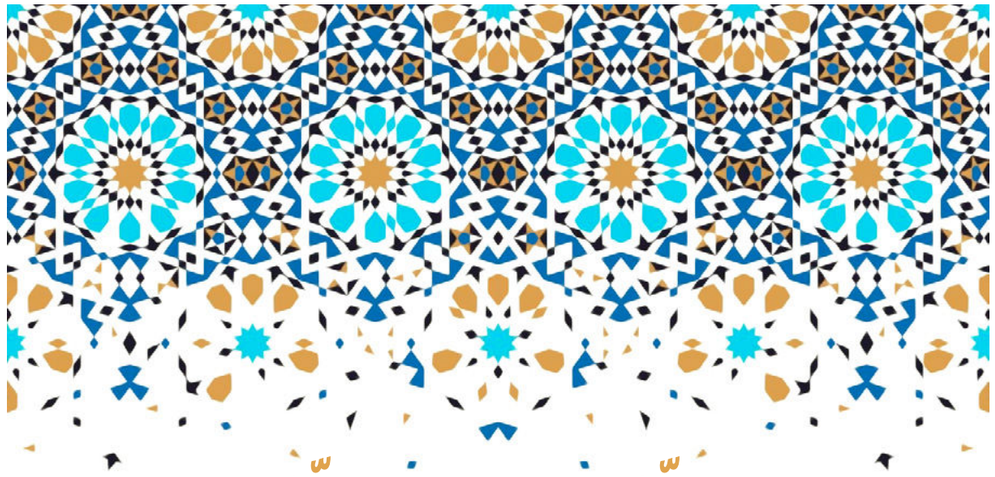

معظّم عليّ معظّم

ولد **معظّم عليّ معظّم** سنة ١٣٨١هـ. (١٩٦٢م.) في «باكستان»، بمدينة «جهلم»، ونشأ في أسرة تنتمي إلى المذهب السنّي، وكان أبوه من المتعصّبين لمذهبه الذي ورثه من آبائه، وكان يبغض مذهب التشيّع، ويكثر من النيل منهم والإطاحة بهم.

منطلق الحوار المذهبي

يقول معظّم عليّ:

سمع أبي ذات يوم بأنّ أخيه غيّر انتماءه المذهبي واعتنق التشيّع، فغضب غضباً شديداً، وحلف أن يقتله! لكنّه عرف أنّ أخاه سافر إلى مدينة أخرى خوفاً على نفسه.

استمرّ ابتعاد عمّي ثلاث سنوات، فلم يتحمّل أبي، وقرّر السفر إليه ليقتله، ويطهّر الأسرة ممّا اعتبره عاراً.

لما التقى به، قال له: **وجب عليّ أن أسفك دمك لأنّك تركت مذهب السنّة والجماعة.**

قال له أخوه: **كيف تجوّز قتلي وأنا مسلم؟ عليك أن تنصف وتصغي لأدلّتي، فلعلّها تقنعك أيضاً.**

فصرخ أبي: **أنا مستعد أن أصبح يهودياً أو نصرانياً، لكن لا يمكن أن أصبح شيعياً؛ لأنّ عقلي لا يسمح لي بالتعرض لبعض الصحابة، وضميري لا يجيز لي تنقيص مكانتهم.**

قال له أخوه: **قد تكون صادقاً، لكنّك تنظر من زاوية معيّنة، وأنا أطلعت على حقائق غيّرت نظري. رجائي أن تسمع لي، فإن لم تقتنع فأنت حرّ.**

وهنا بقي أبي غاضباً متوتراً، ثمّ قال: **هات ما عندك!**

قال أخوه: **ما رأيك بفاطمة الزهراء عليها السلام ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله؟**

– وما صلة هذا ببحثنا؟

– له صلة كبيرة؛ لأنّ فاطمة فارقت الحياة وهي ساخطة على بعض الصحابة ممّن تولّوا الأمور بعد النبيّ صلى الله عليه وآله.

– هذا من اختراعات الشيعة!

– كنت أفكّر مثلك، لكنّي سألت علماءنا وبحثت في الكتب فوجدت صدق هذا الكلام، وبإمكانك أن تسأل.

فقال أبي: **سأذهب وأسأل، فإن كان حقّاً تركتك، وإلّا عاقبتك على الافتراء.**

البحث عن الحقيقة

بدأ أبي يسأل العالم السنّي الذي يثق به في مكان عمله (كان ضابطاً في الجيش). فقال له العالم: **اترك هذه القضايا التاريخية، واشتغل بتهذيب نفسك وعباداتك.**

قال أبي: **كيف لا تهمّني؟ إنّها تبيّن موقفي من بعض الصحابة، أليس من حقي أن أعلم إن كانوا قد أسخطوا بنت رسول الله أم لا؟ وإلّا بقيت في شكّ يزعجني.**

قال العالم: **ألم أقل لك اترك هذا؟ أنت بدأت تشكّك.**

فنهض أبي وأحضر المصحف، وأقسم عليه أن يبيّن له الحقيقة.

فقال العالم: **إذا لابدّ، فإنّ الأمر كما تقول الشيعة؛ إذ ورد في بعض المصادر المعتبرة أنّ بعض الصحابة تعاملوا بقسوة مع فاطمة الزهراء، وهجموا على بيتها، وأحضروا الحطب لإحراقه، ونادت الزهراء: «يا أبت، يا رسول الله، ماذا لقينا بعدك من فلان وفلان.»**[1]

كما ورد أنّها منعت من إرث أبيها، وسُلب منها «فدك» التي

وهبها لها الرسول صلى الله عليه وآله.

وورد أنّها عليها السلام قالت لبعض أولئك الصحابة:

«أنشدكما الله، ألم تسمعا رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «رضا فاطمة من رضاي، وسخطها من سخطي؟»

قالا: **بلى.** قالت عليها السلام:

«فإني أشهد الله أنكما أسخطتماني، ولأدعونّ الله عليكما في كلّ صلاة.»

ثم قالت عليها السلام:

«والله لأدعون الله عليك في كلّ صلاة أصليها.»[3]

وورد في «صحيح البخاري»: **فغضبت فاطمة بنت رسول الله فهجرته، فلم تزل مهاجرته حتّى توفّيت،**[4] وأنّها عاشت بعد النبيّ ستة أشهر، ودفنها زوجها عليّ عليه السلام ليلاً ولم يؤذن به أولئك.[5]

ردود فعل قاسية بعد معرفة الحقّ

تفاجأ أبي بعد معرفته بهذه الحقائق، فترك الصلاة والصوم والعبادات، وقال: **أيقنت بطلان مذهب السنّة، لكنّ نفسي لا تسمح لي باتباع التشيّع.**

وبقي على هذه الحالة حتّى رأى في منامه أحد الصلحاء يقول له: **أرسلتني فاطمة الزهراء لأقول لك: لمَ تجحد الحقّ وأنت تعرفه؟!**

فاستيقظ فزعاً، وقرّر الاستبصار، وأعلن تشيّعه، وعاد إلى أداء التكاليف الشرعيّة.

فلمّا عرفت أمّي ذلك، أخبرته بأنّها تشيّعت قبله لكنّها خافت أن تخبره، وهكذا أعلنّا جميعاً استبصارنا.

طلب العلم

بعد استبصار أبي، اقترح أحد علماء الشيعة أن يرسلني لطلب العلم، فسجّلت في مدرسته، ثمّ سافرت سنة ١٤٠١هـ إلى قم المقدّسة، ودرست في الحوزة أكثر من عشرين سنة، وكنت أعود بين الحين والآخر لنشر علوم أهل البيت عليهم السلام، وسافرت إلى عدّة دول لهذا الغرض.

الهوامش:

١. «الإمامة والسياسة»، ج ١، ص ٢٠.
٢. «صحيح البخاري»، ج ٤، ص ٤٢.
٣. «الإمامة والسياسة»، ج ١، صص ١٩-٢٠.
٤. «صحيح البخاري»، ج ٤، ص ٩٦.
٥. المصدر السابق، ج ٥، ص ١٧٧.

المصدر: «موسوعة من حياة المستبصرين»، مركز الأبحاث العقائدية، بتصرّف يسير.

حق الأخ

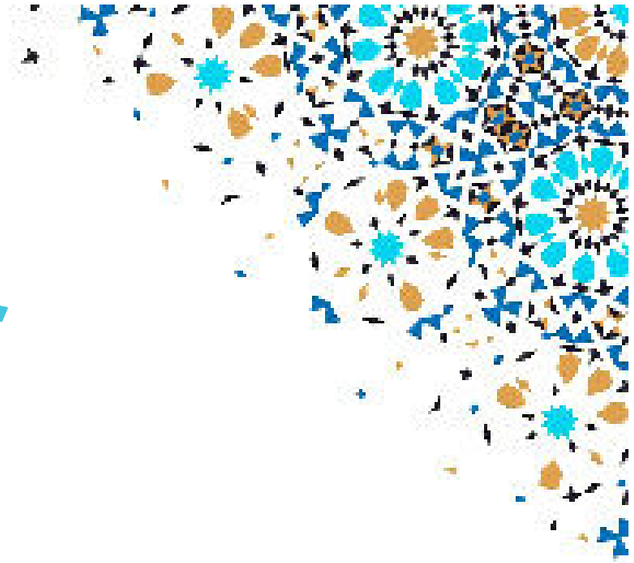

الإسلام دين التآخي والتآلف، يُقدم المثل الصالح في نسج علاقات تقوم على الأُخوّة الصادقة. ويعتبر المقياس الصحيح للأُخوّة هو ذاك المستند إلى الحقوق المتقابلة. فكل إخلال بها سوف ينعكس سلبا على رابطة الإخاء وتحقق علاقة غير سليمة بين الطرفين، بل مشحونة بروح العداء وتؤدي إلى القطيعة والجفاء. وضرب لنا الرسول الأكرم صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم المثل الاعلى في مراعاة حقّ الإخوان، كان إذا فقد الرّجل من إخوانه ثلاثة أيام سأل عنه، فإن كان غائباً دعا له، وإن كان شاهداً زاره، وإن كان مريضاً عاده.[1] ولأخيه الإمام علي عليه‌السلام توصية ذهبية في هذا المجال، يقول فيها عليه‌السلام:

«لا تُضيّعنّ حقّ أخيك اتكالاً على ما بينك وبينه، فإنّه ليس لك بأخ من أضعت حقّه.»[2]

وللاخ أيضاً حق الإكرام، فمن أكرمه حصل على رضا الله تعالى، وينبغي قضاء حاجته وعدم تكليفه الطلب عند معرفتها، ويتوجب المسارعة إلى قضائها. فقضاء حقوق الإخوان أشرف أعمال المتقين.

وبلغ السمو السلوكي لأهل العصمة، في تقدير حق الأخوّة، درجة بحيث أن الإمام الباقر عليه‌السلام سأل يوماً أحد أصحابه – **سعيد بن الحسن** – قائلاً: **«أيجيء أحدكم إلى أخيه، فيدخل يده في كيسه، فيأخذ حاجته فلا يدفعه؟»** فقلت: **ما أعرف ذلك فينا**، فقال أبو جعفر عليه‌السلام: **«فلا شيء إذاً»**، قلت: **فالهلاك إذاً**، فقال: **«إنّ القوم لم يعطوا أحلامهم بعد.»**[3]

وقدم لنا أهل بيت العصمة مقاييس معنوية نحدد من خلالها مدى تعظيم الاشخاص لدين الله تعالى، ومدى قربهم وبعدهم عنه، ومن هذه المقاييس حق الاخوان، قال الإمام الصادق عليه‌السلام: **«من عظّم دين الله عظّم حق إخوانه، ومن استخفّ بدينه استخفّ بإخوانه.»**[4] وعن الإمام العسكري عليه‌السلام: **«وأعرف النّاس بحقوق إخوانه، وأشدّهم قضاءً لها، أعظمهم عند الله شأناً.»**[5]

الهوامش:

١. «بحار الانوار»، ج ١٦، ص ٢٣٣.
٢. «شرح نهج البلاغة»، ابن ابي الحديد، ج ١٦، ص ١٠٥.
٣. «أُصول الكافي»، ج ٢، ص ١٨١، باب حقّ المؤمن على أخيه واداء حقّه.
٤. «بحار الانوار»، ج ٧٤، ص ٢٨٧.
٥. المصدر السابق، ج ٧٥، ص ١١٧.

المصدر: ذهبيات، عبّاس، «الحقوق الإجتماعية في الإسلام»، مركز الرسالة، ١٤١٧هـ.

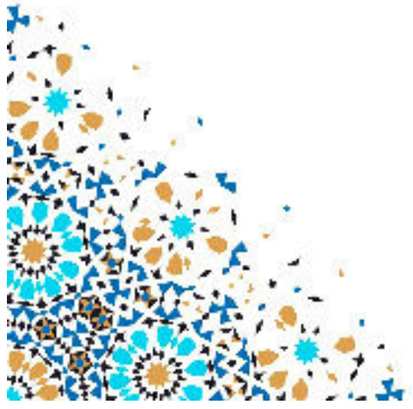

ما جاء عن أهل البيت عليهم‌السلام في موضوع المكان والحركة والانتقال لله

ما جاء عن الإمام الرضا عليه‌السلام من الأخبار في «التوحيد» بإسناده الى **علي بن الحسين بن علي بن فضالة** عن أبيه قال:

سألت الرضا عليه‌السلام عن قول الله عزّ وجلّ: «**وَ جاءَ رَبُّكَ و المَلَكُ صَفّاً صَفّاً**»، فقال: **«سبحانه لا يوصف بالمجي ء والذهاب تعالى عن الانتقال إنّما يعني بذلك وجاء أمر ربّك.»**[1]

وعن **إبراهيم بن أبي محمود** قال:

قلت للرضا عليه‌السلام: **يا ابن رسول الله ما تقول في الحديث الذي يرويه الناس عن رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله كذلك إنّما قال: «إنّ الله تبارك وتعالى ينزل كل ليلة الى السماء الدنيا؟** فقال عليه‌السلام:

«لعن الله المحرّفين الكَلِم عن مواضعه و الله ما قال رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله كذلك إنّما قال صلى‌الله‌عليه‌وآله: إنّ الله تبارك وتعالى يُنزِل ملكاً الى السّماء الدنيا كل ليلة في الثلث الأخير وليلة الجمعة في أوّل الليل فيأمره فينادي هل من سائل فأعطيه هل من تائب فأتوب عليه؟ هل من مستغفر فأغفر له؟ ياطالب الخير أقبل يا طالب الشر أقصِر فلا يزال ينادي بهذا حتى يطلع الفجر فإذا طلع الفجر عاد الى محله من ملكوت السماء. حدّثني بذلك أبي عن جدّي عن رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله.»[2]

وعن **يونس بن عبد الرحمن** قال:

قلت لأبي الحسن موسى بن جعفر عليه‌السلام: **لأيّ علّة عرج الله بنبيّه صلى‌الله‌عليه‌وآله الى السّماء منها الى سدرة المنتهى و منها الى حجب النور وخاطبه وناجاه هناك و الله لا يوصف بمكان؟** فقال عليه‌السلام:

«إنّ الله تبارك وتعالى لا يوصف بمكان و لا يجري عليه زمان ولكنه عزّ وجلّ أراد أن يشرّف به ملائكته و سكان سماواته ويكرمهم بمشاهدته ويريه من عجائب عظمته ما يخبر به بعد هبوطه وليس ذلك على ما يقول المشبهون سبحان الله تعالى عما يشركون.»[3]

وعن زيد بن علي عليه‌السلام قال:

سألت أبي سيّد العابدين عليه‌السلام فقلت له: **يا أبه أخبرني عن جدّنا رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله لمّا عُرج به الى السماء و أمَره ربّه عزّ وجلّ بخمسين صلاةً كيف لم يسأله التّخفيف عن امّته حتّى قال له موسى بن عمران عليه‌السلام: إرجع الى ربّك فاسألهُ التّخفيف فإنّ امّتك لا تُطيق ذلك؟** فقال عليه‌السلام:

«يا بنيّ، إنّ رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله كان لا يقترحُ على ربّه عزّ وجلّ ولا يراجعه في شي ء يأمره به، فلمّا سأله مُوسى عليه‌السلام ذلك و صار شفيعاً لأمّته إليه لم يخز له ردّ شفاعة أخيه موسى عليه‌السلام فرجع الى ربّه عزّ وجلّ فسأله التّخفيف الى أن ردّها الى خمس صلوات.»

– يا أبه فلِمَ لم يرجع الى ربّه عزّ وجلّ و لم يسأله التّخفيف بعد الخمس صلوات؟

– «يا بنيّ أراد صلى‌الله‌عليه‌وآله أن يحصل لأمّته التّخفيف مع أجر خمسين صلاة لقول الله عزّ وجلّ: «مَن جاءَ بالحَسَنَةِ فَلَهُ عَشرُ أمثالِها» ألا ترى أنّه صلى‌الله‌عليه‌وآله لمّا هبط الى الأرض نزل عليه جبرئيل عليه‌السلام فقال: يا محمّد إنّ ربّك يقرئك السّلام، ويقول: إنّها خمس بخمسين ما يبدّل القول لديّ و ما أنا بظلّام للعبيد.»

– يا أبه أليس الله تعالى ذكره لايوصف؟ فقال:

«بلى، تعالى الله عن ذلك.»

– فما معنى قول موسى عليه‌السلام لرسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله: إرجع الى ربّك؟

– «معناه معنى قول إبراهيم عليه‌السلام: «إنّي ذاهِبٌ الى ربّي سَيَهدِين» ومعنى قول موسى عليه‌السلام: «وَ عَجِلتُ إلَيكَ رَبِّ لِتَرضى» ومعناه قوله عزّ وجلّ: «فَفِرُّوا الى اللهِ» يعني حُجّوا الى بيت الله، يا بنيّ إنّ الكعبة بيت الله فمن حجّ بيت الله فقد قصد الى الله، و المساجد بيوت الله، فمَن سعى إليها فقد سعى الى الله و قصد إليه، والمصلّي ما دام في صلاته فهو واقف بين يديّ الله جلّ جلاله، و أهل موقف عرفات وقوفٌ بين يديّ الله عزّ وجلّ و إنّ الله تبارك وتعالى بقاعاً في سماواته، فمَن عُرِجَ به إليها فقد عُرج به إليه. ألا تسمع الله عزّ وجلّ يقول: «تَعرُجُ المَلائِكةُ و الرُّوحُ إلَيهِ» ويقول عزّ وجلّ: «إلَيهِ يَصعَدُ الكَلِمُ الطَّيِّبُ و العَمَلُ الصّالِحُ يَرْفَعُهُ.»[4]

جواب كلّي في ردّ شبهة المكان إليه

عن **أبي بصير** عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال:

«إنّ الله تبارك وتعالى لا يوصف بزمان و لا مكان و لا حركة ولا انتقال و لا سكون بل هو خالق الزمان و المكان والحركة و السكون تعالى عما يصفون علوّاً كبيراً.»[5]

بحث و مقارنة الروايات

يتصور أتباع مدرسة الخلفاء – و بخاصة السلفيين منهم و الوهابيين – بأنّ الله جسم مادي يقبع فوق العرش والكرسي وذلك نتيجة لاستنادهم على الروايات الآنفة الذكر – معاذ الله –، كما يتصوّرون بأنّ الله ينتقل من مكان الى آخر خاصة و أنّهم يعتمدون على روايات أبي هريرة التي تصوّر و بأشكال مختلفة بأنّ الله ينزل من مكان بعد مرور جزء من الليل أو في الثلث الأخير من الليل الى السماء الاولى و يفتح يديه ويخاطب عباده... و أنّه ينزل يوم عرفه...

و استدلّ بعض العلماء أمثال ابن خزيمة على رواية أبي هريرة التي جاء فيها ما معناه بأنّ الملائكة تصعد بصلاة المصلين و تنقلها الى الله بأن لله مكاناً في السماء.

و كما سببت هذه الروايات المنقولة عن **أبي هريرة** أنّ يأوّل علماء مدرسة الخلفاء وعبارات في «القرآن الكريم» مثل «وجاء ربّك» و «يأتيهم الله» و... بطريقة تبيّن وكأنّ للباري تعالى ذهاباً وإياباً.

أما الحال في مدرسة أهل البيت عليهم السلام فقد رأينا أنّ الإمام الرضا عليه السلام يفسّر «و جاء ربّك» تعني «وجاء أمر ربّك» أي حكم ربّك.

و يكذّب حديث نزول الله الى السماء ويعتقد بأنّه محرّف.

و يسأل الراوي الإمام الكاظم عليه السلام إذا كان الله ليس له مكان فلماذا أخذ رسوله الى سدرة المنتهى فيجيب:

«إنّ الله أخذ رسوله الى السماء ليشرّف ملائكته به ليتعرّف الرسول على عظمة الله فيبين ذلك للناس في أرضه.»

و إنّ الإمام زين العابدين عليه السلام يقول رداً على سؤال ولده زيد عن معنى قول موسى لنبينا صلى الله عليه وآله ارجع الى ربك فاسأله التخفيف... إنّ ذلك الكلام يرادف معنى قول **موسى** عليه السلام في نجواه مع ربه بأنّه التجأ إليه لكسب رضاه، وإنّ الكعبة بيت الله، وكذا الحال بالنسبة الى المساجد فكل من قصد بيت الله فكأنّما قصد الله وتوجه إليه وكذا الحال للمصلي والداعي في عرفه فإنّه واقف بين يد الله.

ويقول الإمام الصادق عليه السلام أنّ الله لا يوصف بزمان ومكان وحركة وسكون فهو الخالق للزمان و المكان و الحركة والسكون.

الهوامش:

١. «تفسير نور الثقلين»، ج ٥، ص ٥٧٤، ح ٢٠ عن «عيون الأخبار» للصدوق.
٢. «توحيد الصدوق» ص ١٧٦، ح ٧.
٣. المصدر السابق، ص ١٧٥، ح ٥.
٤. المصدر السابق، صص ١٧٦– ١٧٧، ح ٨.
٥. المصدر السابق، صص ١٨٣–١٨٤، ح ٢٠.

المصدر: العلامة العسكري، سيد مرتضى، «على مائدة الكتاب السنة»، طهران، المجمع العلمي الاسلامي، ١٤١٨هـ.ق.

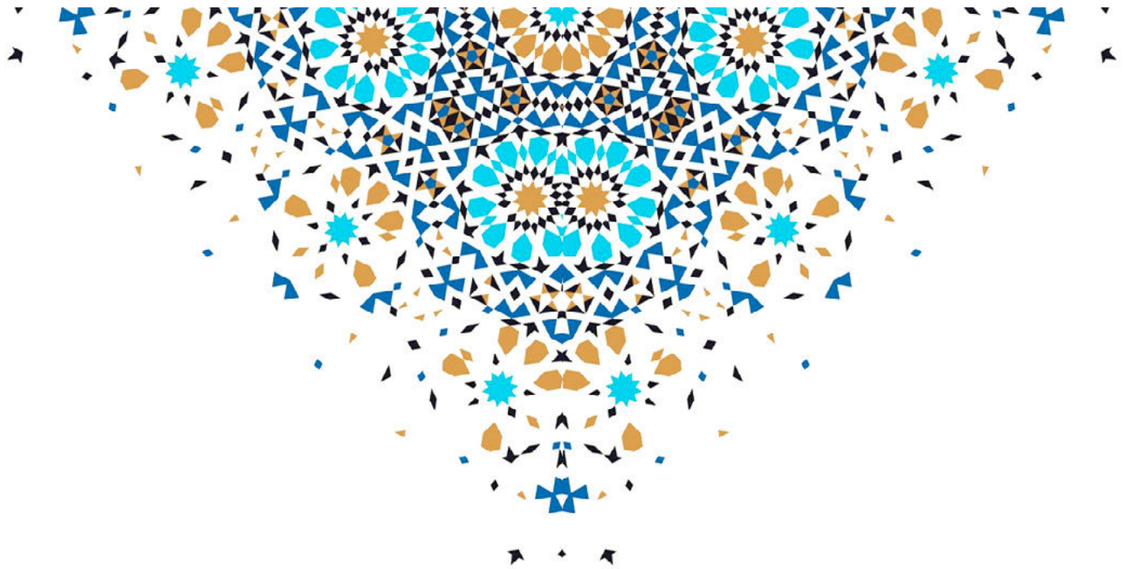

التزيين بالذهب و الفضة للنساء و الأطفال

– عن **داوود بن سرحان** قال:

سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الذّهب يحلّى به الصبيان. فقال عليه السلام: **«إنه كان أبي ليحلّي ولده و نساءه الذّهب و الفضة، فلا بأس به.»**[1]

– عن **محمّد بن مسلم** قال:

سألت أبا عبد الله عليه السلام عن حلية النساء بالذّهب و الفضة. فقال عليه السلام: **«لا بأس.»**[2]

– عن أبي عبد الله عليه السلام قال: **«ليس بتحلية المصاحف و السّيوف بالذهب و الفضة بأس.»**[3]

– عن أبي عبد الله عليه السلام قال: **«كان نعل سيف رسول الله صلى الله عليه وآله و قائمته فضّة، و بين ذلك حلق من فضّة، و لبست درع رسول الله صلى الله عليه وآله و كنت أصحبها و فيها ثلاث حلقات من فضّة من بين يديها، و إثنتان من خلفها.»**[4]

– عن محمّد بن مسلم عن أحدهما (الباقر أو الصادق) عليهما السلام أنه سئل عن حليّ الذهب للنساء. فقال عليه السلام: **«ليس به بأس و لا ينبغي للمرأة أن تعطّل نفسها و لو أن تعلّق في رقبتها قلادة و لا ينبغي لها أن تدع يدها من الخضاب و لو أن تمسّحها بالحنّاء مسحا و لو كانت مسنّة.»**[5]

الهوامش:

١. «الوسائل»، ج ٣، ص ٤١٢، باب ٦٣، من أبواب أحكام الملابس ح ١.
٢. المصدر السابق، ح ٢.
٣. المصدر السابق، ح ٣.
٤. المصدر السابق.
٥. «مكارم الأخلاق»، ص ٩٤.

المصدر: العلامة المجلسي، «حلية المتقين فى آلادب و السنن و الاخلاق».

برّ الوالدين
القسم الاوّل

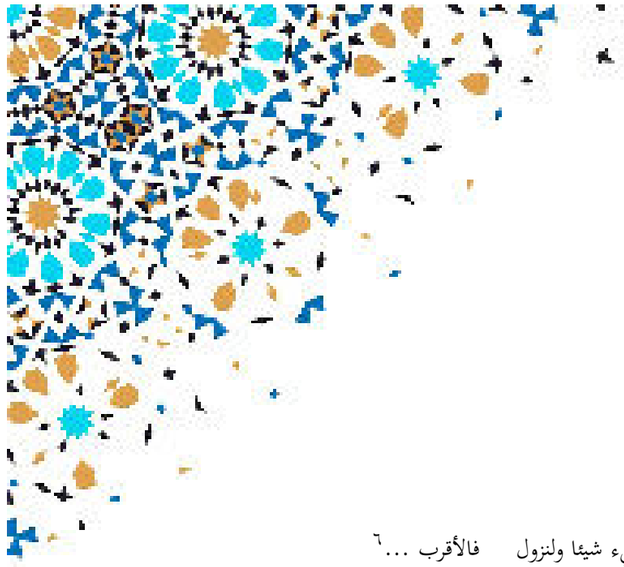

ان الله تبارك وتعالى يرحم عباده، وجعل لكل شيء شيئا ولنزول رحمته على عباده ايضا اسباب، منها اشفاق الاولاد ابويهما...

١ . قال سيدّنا الرسول الأكرمﷺ: اربع خصال من كنّ فيه ادخله الله تعالى جنّته ونشر عليه رحمته: منها: من اشفق على والديه...[١]

٢ . وقالﷺ: من ألهم اربعة اشياء: من برّ والديه، أنسئ في أجله ، ووسع عليه في رزقه ، ومنع بعقله، وسهل عليه في ساقته يريد به الموت، ولقّن حجته في قبره...[٢]

٣ . روى عن العالمؑ أنه قال: ثمانية اشياء من كنّ فيه ادخله الله تعالى الجنّة ونشر عليه الرحمة: منها: وبرّ والديه[٣]

٤ . وقال رسول اللهﷺ : تفتح ابواب السماء بالرحمة في اربع مواضع: عند نزول المطر، وعند نظر الولد في وجه الوالدين. وعند فتح باب الكعبة. وعند فتح باب الكعبة وعند النكاح...[٤]

٥ . قال امير المؤمنينؑ: الله رحيم بعباده ومن رحمته أنه خلق مائه رحمة، وجعل منها رحمة واحدة في الخلق كلّهم، فبها يتراحم الناس، وترحم الوالدة ولدها، وتحنن الأمهات من الحيوانات على أولادها... الى آخره الحديث...[٥]

البرّ بالأم

مما يجب على الولد هو أن يبر بأبويه ولكن فرق بين الأم والأب، فان حق الأم اكثر لأنها حملت وارضعت وربت وسهرت الليال، كل ذلك في سبيل راحة الولد، حتى كبر وشاب، وصار يستلذ بلذة الوجود، والآن حن وقت اداء الحق ، فيجب البر بها اكثر فأكثر.

١ . قال رسولﷺ: أمّك أمّك أمّك! ثم أباك! ثم الأقرب! فالأقرب ...[٦]

٢ . قالﷺ ايضاً : الجنّة تحت أقدام الأمهات ...[٧]

٣ . عن **عائشة**، قالت: قلت: يا رسول اللهﷺ فأي الناس اعظم حقا على الرجل؟ قالﷺ: أمه ....[٨]

٤ . **علي بن ابراهيم** ، عن ابيه ، عن **ابن أبي عمير**، عن **هشام بن سالم** عن أبي عبد اللهؑ، قال: جاء رجل الى النبيﷺ جاء رجل الى النبيﷺ تسليماً كثيرا كثيرا، فقال يا رسول اللهﷺ من أبر؟. قالﷺ: أمك، قال: ثم من؟ قال أمّك، قال ثم من؟ أمّك، قال : ثم من؟. قالﷺ: أباك ...[٩]

٥ . عدة من اصحابنا، عن **احمد بن محمد بن خالد**، عن **علي بن الحكم**، عن **معاوية بن وهب**، عن **زكريا بن ابراهيم**، قال : كنت نصرانيا سلمت، وحججت، فدخلت على أبي اللهؑ، فقلت: أني النصرانية، واني اسلمت، فقالؑ: وأي شيء رأيت في الإسلام؟ قلت: قول الله عزّ وجلّ: «**ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء**» فقالؑ: لقد هداك الله تعالى، ثم قالؑ: اللهم اهده . ثلاثا . سل عمّا شئت يا بني، فقلت: ان أبي وأمي على النصرانية وأهل بيتي، وأمي مكفوفة البصر، فأكون معهم، وآكل في آنيتهم؟. فقالؑ: يأكلون لحم الخنزير؟. فقلت لا، ولا يمسّونه، فقالؑ: لا بأس، فانظر أمك فبرّها، فاذا ماتت فلا تكلها الى غيرك، كن أنت الذي تقوم بشأنها، و لا تخبرنّ احدا أنّك أتيتني، حتى تأتيني بمنى ان شاء الله، قال: فأتيته بمنى والناس حوله كأنه معلّم صبيان، هذا يسأله وهذا يسأله، فلما قدمت الكوفة الصفت لأمي، وكنت اطعمها، وأفلي ثوبها ورأسها، وأخدمها، فقالت لي: يا بني ما كنت تصنع بي هذا وانت على ديني فما الذي أرى منك منذ هاجرت فدخلت

في الحنيفية؟. فقلت: رجل من ولد نبينا أمرني بهذا، فقالت هذا الرجل هو نبي؟ فقلت: لا، و لكنه ابن نبيّ، فقالت: يا بني ان هذا نبيّ، ان هذه وصايا الانبياء، فقلت: يا أمّه، انّه ليس يكون بعد نبينا نبي، ولكنه ابنه، فقالت: يا بنيّ دينك خير دين، أعرضه عليّ، فعرضته عليها، فدخلت في الإسلام وعلمتها، فصلّت الظهر والعصر والمغرب والعشاء الآخرة، ثم عرض لها عارض في الليل، فقالت: يا بنيّ أعد عليّ ما علمتني، فأعدته عليها، فأقرّت به و ماتت، فلمّا اصبحت كان المسلمون الذين غسّلوها، وكنت أنا الذي صليت عليها، ونزلت في قبرها ... [١٠]

٦ . **الحسين بن محمد**، عن **معلّى بن محمد**، و**علي بن محمد**، عن **صالح** بن **أبي حمّاد**، جميعا عن **الوشاء**، عن **أحمد بن عائذ**، عن **أبي خديجه سالم بن مكروم**، عن **معلي بن خنيس**، عن أبي عبد اللهؑ، قال: جاء وسأل النبيﷺ عن برّ الوالدين، فقالﷺ: ابررأمك، أبرر أمك، أبرر أمك، أبرر أباك، أبرر أباك، أبرر أباك، وبدأ بالأم قبل الأب ...[١١]

٧ . **علي بن ابراهيم**، عن **محمد بن عيسى**، عن **يونس بن عبد الرحمن**، عن **عمرو بن شمر**، عن جابر، قال: أتى رسول اللهﷺ فقال: اني رجل شاب نشيط، وأحب الجهاد، ولي والدة تكره ذلك؟. فقال له النبيﷺ: ارجع فكن مع والدتك، فو الذي بعثني بالحق نبيا لأنسها بك ليلة خير من جهادك في سبيل الله سنة ...[١٢]

رضا الأم وسطها

ان في رضاء الأم وسخطها آثار عجيبة رأيناها في زماننا هذا . القرن الرابع عشر . وآثارها بعضاً تتعلق بالدنيا، وبعضاً تتعلق بالآخرة، تتعلق بالفقر والغنى، والتوفيق وعدمه، وطول العمر و قصيره، وبركة النسل وعدمه، وسعة الصدر وضيقه، وهكذا الأم تؤثّر في جميع مرافق الحياة من الخير والشّر، والسعادة والشقاء، الى ابعد الحدود، والى ما شاء الله تعالى.

١ . وحكي انّه كان في زمن النبيﷺ شاب يسمى **علقمة**، وكان كثير الاجتهاد في طاعة الله، في الصلاة والصوم والصدقة، فمرض واشتد مرضه، فأرسلت امرأته الى رسول اللﷺ: ان زوجي علقمة في النزع فأردت أن اعلمك يا رسول الله بحاله. فأرسل النبيﷺ عمارا وصهيبا وبلالا، وقالﷺ امضوا اليه ولقّنوه الشهادة، فمضوا اليه ودخلوا عليه فوجدوه في النزاع فجعلوا يلقنونه: لا اله الاّ الله. ولسانه لا ينطق بها فارسلوا الى رسول اللهﷺ يخبرونه أنه لا ينطق لسانه بالشهادة. فقالﷺ: هل من ابويه أحد حي؟. قيل رسول اللهﷺ أم كبير السنّ، فأرسل اليها رسول الله صلى الله عليه مني!. فانطلق بلال فسمع علقمة من داخل الدار يقول: لا اله الاّ الله. فدخل بلال فقال: يا هؤلاء ان سخط أم علقمة حجب لسانه عن الشهادة وان اضاها اطلق لسانه. ثم مات علقمة من يومه، فحضره رسول اللهﷺ، فأمر بغسله وكفنه، ثم صلّى عليه، وحضر دفنه، ثم قامﷺ على شفير قبره، وقالﷺ: يا معشر المهاجرين والأنصار، من فضّل زوجته على أمّه فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين، لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا، الاّ أن يتوب لله عزوجلّ، ويحسن اليها ويطلب رضاها فرضى الله في رضاها، وسخط الله في سخطها... الى آخره ...[١٣]

الهوامش:

١. معدن الجواهر، كراجكي، باب ذكر ما جاء في اربعة ، ص ٣٩.
٢. معدن الجواهر، كراجكي، باب ذكر ما جاء في اربعة، ص ٤٠.
٣. معدن الجواهر، كراجكي، باب ذكر ما في اربعة، ص ٦٤.
٤. ، سفينة البحار، الشيخ قمي، باب الزاء بعده الواو، ص ٥٦١.
٥. تسلية الفوآد، السيد عبد الله شبر، فصل في الشفاعة، ص ١٩٥.
٦. غوالي الدرر، حرف الالف، ص ١٣.
٧. غوالي الدرر، حرف الجيم، ص ٤٢.
٨. ذرايع البيان، الطبسى النجفى، الآفة الثامنة، ص ١٩٧، نقلا عن المستدرك للحاكم.
٩. الكلينى، الكافي، ج ٢، ١٢٧، باب البر، الحديث ٩.
١٠. الكلينى، الكافي، ج ٢، ص ١٢٨، باب البر، الحديث ١١.
١١. الكلينى، الكافي، ج ٢، ص ١٣٠، باب البر، الحديث ١٧.
١٢. الكلينى، الكافي، ج ٢، ص ١٣٠، باب البر، الحديث ٢٠.
١٣. ذرايع البيان، الطبسى النجفى، الآفة الثامنة، ص ١٨٦.

المصدر: العلوي، السيد علي بن الحسين، الأثر الخالد في الولد والوالد، منشورات دار الذخائر، صص ٧٦-٨٢.

الامام علي عليه السلام: سياسة الامام

اذا التفتنا الى طبيعة العلاقات التي كانت تربط امير المؤمنين عليه السلام برسول الله صلى الله عليه و آله و الدور المشرّف الذي كان الامام يقوم به لنشر الاسلام منذ اوائل ايامه و الى زمان رحيل النبيّ صلى الله عليه و آله و المعبّر عن الايثار و التضحية من اجل الاسلام فسوف نفهم انّ الامام كان من الشخصيات العظيمة و اصحاب النفوذ في زمان حياة الرسول صلى الله عليه و آله و رغم هذه المكانة الخاصّة التي كان الامام يتمتع بها تمكّن الآخرون – الذين لم تكن لهم هذه المكانة بأدلة ستتضح في حينها – ان يقيّدوا حركة الامام و يستولوا على السلطة بتنفيذ بعض الحيل السياسية الخاصة، و كان من أهمّ ما عملوه في هذه الفترة محو المكانة المتميّزة و الفريدة التي كانت لعليّ عليه السلام من المجتمع الاسلامي، لذا راحوا يسعون و بما كان في ايديهم من امكانات الى تضعيف شخصية عليّ عليه السلام، و تمكنوا من فرض العزلة عليه و هذا الامر اعلنه الامام و غيره بصراحة و وضوح.[1]

و كان الامام الذي يرى حقّه ضاع منه قد قام معترضا في بداية الامر لكنّه حين رأى المخالفات ثارت من اطراف و انحاء الجزيرة العربية كفّ عن المعارضة من اجل حفظ الاسلام. و ان كان يبدي بين الحين و الآخر احقيته في الخلافة.[2]

و كان اذا استشاره الخلفاء في أمر او رجعوا إليه في قضاء يسدي نصائحه إن رأى في ذلك فائدة. و ان كان في بعض الموارد الاخرى يأبى ذلك لعلمه بعدم المصلحة في الامر. و كان عليه في مثل هذه الحالات أن يواجه سيلا من التهم و الانتقادات،[3] و لذا تعرضت علاقاته بالخليفة الثالث لحالات من التشنّج لان الامام كان في كثير من فتاوى الخليفة يبدي آراء مخالفة.[4]

خلافته

و بمرور الزمان و تفاقم المشكلات و الحوادث و عجز الخليفة و مساعديه السياسيين و العلماء عن حلّها راح الخلفاء يمدّون ايديهم الى الامام طلبا في المساعدة، و كان هذا سببا في لفت الانظار الى مكانته العلمية في المجتمع الاسلامي و جعل الناس. ينظرون إليه على انه خزانة علوم الاسلام و اسراره المنقذة. و

من وجهة النظر السياسية فانّ هناك عددا من الواعين ممن كانوا يعتقدون أن السياسات الجارية لا تصبّ في مصالح الاسلام اختاروه ليكون مرشّحا للخلافة اضافة الى أن عددا من الشيعة الذين كانوا يرون الارضية مناسبة، قد ضاعفوا من نشاطهم للكشف عن وجه الامام الناصع و راحوا يبذلون جهودا حثيثة و مساعي سياسية متواصلة ليتولّى الامام الحكم، كما أن سائر طبقات الشعب أيضا اعرضوا عن الخليفة الثالث لأنهم كانوا يرون مسيرة الحكم لا تتفق مع آمالهم و اهدافهم من وجهة النظر الدينية و السياسية لذا فانهم أظهروا الحبّ و البيعة و الولاء لامير المؤمنين عليه السلام. و قد ادّت هذه العوامل جميعا الى أن يهجم الناس بعد **عثمان** على بيت علي عليه السلام ليجلسوه على كرسي الخلافة، و هذه هي المرة الاولى التي يبايع الناس فيها شخصا ثم يتولّى امور الخلافة بصورة رسمية خلافا للمرات السابقة التي كان ينصب فيها الخلفاء اوّلا ثم يدعى الناس لمبايعتهم.

المبادئ و الاصول السياسية للإمام طيلة حكمه

انّ من اهم ثمرات حكومة الامام امير المؤمنين– التي دامت خمس سنوات فقط– اتخاذه سياسات كان الامام يهدف من خلالها الى تنظيم امور البلاد و تطبيق الوقائع الاجتماعية المهمة عليها، تلك السياسات الاسلامية التي بنيت على اساس من التعاليم الدينية و القيم الانسانية العامّة، و لم يكن الامام مستعدا للعدول ذرّة عنها. نذكر فيما يلي باختصار نماذج منها:

الف) اصلاح نظام الحكم و تقديمه على الفتوحات

ان من احدى المبادئ السياسية عند الامام بنحو قابل لأن يعطي انطباعا عاما لجميع مساعي الامام عليه السلام في ايام حكومته هي مبادرته لاصلاح الفساد السياسي المتفشي بين المسلمين، و تقديمه على الفتوحات الاسلامية و توسعة المناطق التابعة للدولة الاسلامية. فقد كان الإمام يفضّل أن تبقى الدولة الاسلامية منحصرة ضمن مساحة جغرافية محدودة و لا يسود في داخلها الفساد السياسي و انما يتولّى مسئولية الحكم على الناس فيها عناصر لا شك في صلاحيتهم الدينية و السياسية، و لذا فانّ الامام حين عرض عليه جماعة أن يصبر على معاوية و امثاله رفض ذلك و قال: «**ما وجدت الّا قتال القوم او الكفر بما جاء به محمّد.**»[5]

و قال أيضا: «**لم يكن الله يراني اتّخذ المضلّين عضدا.**»[6]

و لهذا السبب كفّ يده طيلة مدّة امامته عن الاستمرار في الفتوحات و حاول تنفيذ سياساته، فعند ما خالفه اشخاص مثل الناكثين هاجر الى العراق، و حصل على عون الكوفيين[7] و اسرع لقتالهم و تمكّن في الحرب التي نشبت من قتل قادة الناكثين، و القضاء على حركة راكبة الجمل التي قادت المعركة. و كان الامام يرى نفسه موظّفا لمقاتلة العناصر الداخلية المخلّة بالامن و النظام و كان يقول: «**أمرت بقتال الناكثين و القاسطين و المارقين.**»[8]

و ما كان يصبر على معاوية و لم يرض ان يكون حاكما على الشام و لو لساعة واحدة. فلذا بذل قصارى جهده لازالة هذه العقبة عن طريق الاسلام، و هو و إن وفّق الى حدّ كبير في ذلك لكن الضعف الذي ابداه اهل العراق، و اغترارهم بالشعارات الكاذبة التي اطلقها معاوية افقد الامام القدرة على ازالته.

و طبيعي أن تكون نتيجة هذا الضعف الفكريّ الذي اوصل القدرة القتالية لجيش الكوفة الى درجة الصفر هو تسلط معاوية على العراق بعد استشهاده. لكنّ سنّة الامام في الحرب مع القاسطين و الظالمين صارت اصلا دينيّا مسلّما عند جميع المسلمين و اسّست قاعدة في الاحكام الشرعية فيما يخص حرب البغاة.

و في قتاله المارقين[9] عند ما وجد الامام ان جماعة قد خدعتهم التأويلات الخاطئة للآيات القرآنية و انهم سيجرون المجتمع الاسلامي نحو الفساد اقدم لتفريق جمعهم فحطّم قدرتهم العسكرية. و إن ساعد الحكم الجائر لبني اميّة فيما بعد على انتشار افكار الخوارج المنحرفة مرة اخرى و اتسعت دائرة عملهم السياسي لكنهم لم يقووا على الوقوف بوجه علي عليه السلام فقد قمعوا و دمّروا على يديه.

و كان الامام يسير بسيرته هذه في جماعة من المسلمين ابتلوا بانحراف في الدين و وقعوا – عن علم و غير علم – في حبائل الشيطان و صاروا منافقين، يقول الامام في هذا الصدد:

«**و لكنّا إنمّا اصبحنا نقاتل اخواننا في الاسلام على ما دخل فيه من الزيغ و الاعوجاج و الشبهة و التأويل.**»[10]

لكنّه كان يعتبر الحرب واجبا لاصلاح العناصر المفسدة بين المسلمين التي تريد انتهاز الفرصة للاستيلاء على الحكم و يقول: «**فانّ رأيي قتال المحلّين حتى القى الله، لا يزيدني كثرة الناس حولي عزة، و لا تفرّقهم عني وحشة.**»[11]

طبيعيّ انه لو كان التصالح مع المعارضين ممكنا و اعلنوا فروض الطاعة للامام و توجيهاته ما خاض الامام حربا ضدهم لكنهم اوجدوا ظروفا لم يكن لدى الامام معها خيار سوى الحرب فقد روى **طارق بن شهاب** عن الامام قوله: «**و الله ما وجدت من القتال بدّا.**»[12]

ب) الاستفادة من الاسس الاسلامية والاخلاقية في اصلاح الانحرافات

و كان من جملة السياسات الاصولية للامام انه لم يكن يعتمد على الطرق و الاساليب غير الشرعية في سياسته. و قد اقترح عليه مرارا ان يوفّر شرفاء القوم ليأمن خطر مخالفتهم و يستمدّ العون منهم لكنّ الامام كان يأبى ذلك.[١٣] إذ لو كان يريد أن يفعل ذلك لـ **سالم معاوية** لكنه كان يردّد هذه الجملة دائما و يعتبرها اصلا مهمّا في حكمه حيث يقول: «**أ تأمروني أن أطلب النصر بالجور؟**»[١٤]

لقد كان دأب عليّ عليه السلام على شرح سياساته للناس لذا فانّه كان يبيّن الخطوط العامّة لسياسته في خطبه المفصّلة التي كان يلقيها في الناس طيلة مدّة خلافته. و كان يحاول بذلك أن يكون اقدام الناس عن وعي و اختيار. و كان كلما خالفوه في امر سعى لتوضيحه لهم. فاذا وجدهم لم يقبلوه لم يفرض عليهم مراده و يقول: «**ليس لي أن احملكم على ما تكرهون.**»[١٥]

و في مقام آخر قال بعد أن ذكر محاولاته لاصلاح الامر من طرق مختلفة: «**لا يصلحكم الّا السيف و هيهات ان يكون صلاحكم بفسادي.**»[١٦]

لقد كان الامام ملتزما بهذه الضابطة. و لذا فإنّه حين رأى نفسه بين اصلاح الناس و إفساد نفسه باعتباره قائدا صمّم على ترك الاستفادة من الاساليب الجائرة لاصلاح الناس كيلا يفقد صلاحه. فهو لم يكن يريد أن يستعمل الحيلة و المكر لتحقيق اغراضه السياسية و بذلك يقوّي موقعيّته بين الناس فقد كتب **فخري** يقول: **و لم يكن الخدع و الحيل من مذهب عليّ.**

لكنّ معاوية لم يكن كذلك، و لذلك اتّهم الامام بضعف الرؤية السياسية و عرف معاوية بقوّتها عنده. و قد قال الامام في الاشارة الى ذلك: «**و الله ما معاوية بادهى منّي لكنّه يغدر و يفجر، و لو لا كراهيّة الغدر لكنت من ادهى الناس.**»[١٧]

و لهذا السبب كان **ابن عبّاس** يقول: «**ما رأيت رئيسا يوزن بعليّ.**»[١٨]

ج) جميع الجهود لحفظ الاسلام

انّ من جملة المبادئ السياسية عند الامام سعيه لحفظ الاسلام فاذا اقدم على امر معيّن فانّه يقدم عليه باعتباره مقدّمة لبقاء الاسلام، فحين وقعت حادثة السقيفة كان الامام يشهد ضياع حقّه، لكنّه اختار السكوت لكيلا يتزعزع ايمان سكّان جزيرة العرب الحديث، و يصاب الاسلام العزيز بالضرر، فقد كتب في رسالته الى **محمّد بن ابي بكر** يقول: «**فخشيت إن لم انصر الاسلام و اهله أن أرى فيه ثلما او هدما تكون المصيبة به عليّ اعظم من فوت ولايتكم التي إنّما هي متاع أيام قلائل...**»[١٩]

هذا في الوقت الذي لم يمتنع الامام ابدا عن اعلان احقّيته بالخلافة وحده[٢٠] و كان كثيرا ما يعدّد فضائل اهل بيت رسول الله صلى الله عليه و آله لينبه الناس على تقدّمهم على غيرهم. و في نهج البلاغة عبارات و كلمات له في هذا الصدد تصرّح بذلك بوضوح. هذا مضافا الى مساعي الامام الاخرى لتثبيت اسس امامته الالهية بالطرق و الاساليب المختلفة.[٢١]

مصير السياسة في حكومة امير المؤمنين عليه السلام

لقد كان طيلة مدّة حكومة امير المؤمنين عليه السلام تناقض اساسيّ بين جهاز القيادة السالم الصحيح و بين ما اعتاد عليه الناس و عملوا به.

فمن جهة كان الامام يريد أن يصلح امر المجتمع وفقا للمعايير الشرعية و يحكّم الضوابط الدينية في العلاقات الاجتماعية بين الناس، و يلزم من ذلك أن يستخدم لهذا الغرض اسلوبه الاسلامي و الاخلاقي الخاص، بأن لا يقدم على امر خارج عن حدود الدين – كما ذكر – للوصول الى اهدافه.

و من جهة اخرى فانّ الناس خلال سنين طويلة جعلوا لهم معايير أخرى تكوّنت في ظلّ مجتمع مرفّه متجه الى احياء القيم الجاهلية و كان تطبيق هذه المعايير معلولا لامرين:

١. استمرار الفتوحات و زيادة الغنائم.

٢. عدم اعتناء الحكّام بتربية الناس تربية اصيلة.

و خلاصة الامر أن الناس كانوا يريدون شيئا، و الامام يريد شيئا آخر، و هو ما جعل تناقضا بين الارادتين. لذا لم يكن إصلاحهم بغير السيف ممكنا، و لم يكن لعليّ أن يسوقهم الى الاسلام بغيره فما ذا يتوقع لسياسة كهذه من مصير؟

لقد سعى الامام أن يدلّ الناس على الطريق، و ينزلهم عند حكم العقل، و يرشدهم بإيضاح اسس التقوى الى الهدف المقدس الذي ابتعدوا عنه. لكن نشوب الحروب الداخلية زاد من وطأة الضغط الذي يعاني منه الناس اذ انّ هذه الضغوط ليست لا تتلاءم مع نفسية ذلك المجتمع الميّالة نحو الرخاء فحسب، و انما تنافيها أيضا، لانّ المعارك التي كان الناس يخوضونها ضد المشركين كانت تعود عليهم بالغنائم.

و امّا الحروب الداخلية التي خاضها عليّ ضد الناكثين و القاسطين و المارقين فلا تعود عليهم بشي ء و هو ما جعل الناس بل كثيرا من الراغبين ظاهرا في تطبيق الاسلام عاجزين عن الوفاء بتعهّداتهم، فعدلوا عن مواضعهم و اعلنوا مخالفتهم، و تركوا عليّا عليه السلام وحده، و لم يثبت معه الّا من كان يعرفه و يعرف طريقه معرفة حقّة.

و كان الامام امير المؤمنين عليه السلام يتوقّع مثل هذا اليوم و لذا كان في أوّل الامر يأبى أن ينصاع لطلب الناس، و يرفض قبول حكومتهم، لأنه يعلم انهم لا يثبتون على تنفيذ سياساته و اجراء برامجه، اذ كان يقول: «**دعوني و التمسوا غيري فإنّا مستقبلون امرا له وجوه و ألوان لا تقوم له القلوب، و لا تثبت عليه العقول.**»[٢٢]

لكنّه قال في آخر الامر جملة تؤكّد تحقق توقّعه السابق و تثبت صحة رأيه الأول بعد أن اختبر الناس رأيه حيث قال: «**اعلموا أنه قد وقع الامر الذي كنت احذركم إيّاه، و أنّ الفتنة كالنار كلّما اسعرت ازدادت، و إنّما سأمسك هذا الأمر ما أتمسّك فاذا لم اجد بدّا فآخر الدواء الكيّ.**»[٢٣]

و كانت عاقبة هذا الحكم على خلاف السنن الجارية في المجتمعات البشريّة حيث صار الحاكم مظلوما و الرعية ظلمة بدلا من أن يكون هو الظالم و هي المظلومة كما هو المتعارف، و غدا الناس امراء له بدلا من أن يكون هو اميرهم.

و واضح ما ذا يكون عليه مصير حكومة كهذه. قال عليّ عليه السلام: «**لقد اصبحت الامم تخاف ظلم رعاتها، و اصبحت أخاف ظلم رعيّتي.**»[٢٤]

و قد ازدادت حركة الامّة و خروجها من الطاعة الى عدم الطاعة خلال الحروب الداخلية الثلاث شيئا فشيئا. فقد بلغ اقبال الناس و هجومهم عليه في أول الامر حدّا كاد ان يسحق معه ابناه و يهلكا تحت ضغط الجمع الحاشد حتى اضطر في نهاية المطاف و اثر المزيد من الاصرار أن يقبل الخلافة معلّلا ذلك بقوله عليه السلام: «**و لكنّي آسى أن يلي امر هذه الامّة سفهاؤها و فجّارها فيتخذوا مال الله دولا و عباده خولا و الصالحين حربا و الفاسقين حزبا.**»[٢٥]

و لكن لما كان أوّل الناس بيعة له قد اعلن مخالفته قبل غيره و الامر ما زال في أوّله، فان من الطبيعي أن يلحق به آخرون و يزداد عدد مخالفيه بالتدريج، فقد انقاد الناس في حرب الجمل للامام، و اطاعوا امره و ان عصاه في «الكوفة» **ابو موسى الاشعري** و دعا الناس الى القعود، فقعد عن القتال معه بعض ظانا انه بذلك حفظ دينه لكنّه لم ينصر الحقّ طبعا و لذلك نرى الامام يصفهم بدقة بهذا الوصف فيقول: «**خذلوا الحقّ و لم ينصروا الباطل.**»[٢٦]

و رغم انّ الناس في حرب صفين كانوا على اطمئنان كامل بصحّة مسيرهم في أول الأمر لكنّ ضغط الحرب اضعف عقيدتهم، و لان من عزمهم، و ادّى بهم الى التراجع عن التزاماتهم و تعهّداتهم السابقة و سحقها، عند ما رجّحوا قول معاوية على قول عليّ و اعتبروا معاوية مع القرآن و عاملا به دون عليّ.

و في المرحلة اللاحقة شكّل المخالفون للامام عليّ عليه السلام صفّا أمامه حيث أنهم إذا كانوا يرفضون قتال معاوية معه في صفين، فقد خرجوا عليه هذه المرّة ليخرجوا بذلك عن الدين.

و قد قصرت يد الامام في الأيام الأخيرة عن القيام باي عمل و عجز حتى عن الدفاع ازاء الهجمات التي كان معاوية يشنّها على المناطق الخاضعة لحكومته، كما ضعف ايمان الناس أيضا حتى لم يعودوا مستعدين لسماع كلام الامام، بل كانوا يرون انفسهم عاجزين عن الدفاع عن بلاد العراق تحت ضغوط هجمات معاوية.

اما الخوارج هؤلاء المتعصبون الجهلة، فقد كان فهمهم للدين يتّسم بالجمود فلم يكونوا يعرفون الدين و لا يفهمون للمتديّن معنى، و هو ما أدى بهم في نهاية المطاف الى أن يرتكبوا تلك الجريمة البشعة باراقتهم لدم عليّ هذا المثال الانساني الكامل الذي ستبقى البشرية عاجزة عن الاتيان بمثله، و بذلك كانت الخاتمة للحياة السياسية لامير المؤمنين.

ان مثل هذه النتيجة – و كما توقّعها الامام – كانت هي المآل الطبيعي لمجتمع خرج عن مساره الاوّل، واضحى اشبه ما يكون ببناء دعائمه منهارة و جدرانه متزلزلة بحيث ان المكث فيه يعد بحكم الانتحار. و رغم ان الامام لم يكن قادرا على التخلي عن الساحة عند هجوم الناس على داره لأن ذلك كان بمثابة الاهمال لارادة الناس و عدم الاهتمام بمطاليبهم، الّا أنه فعل ذلك من اجل أن تبقى تلك التجربة، و ليكون من جانب آخر قد ادى واجبه و مسئوليته في الامامة. و ان اصراره على عدم الاستجابة لارادة الناس هو اهم دليل لدينا على تكوين مثل هذه الرؤية بشأن حياة الامام في الحكم.

لقد كانت حصيلة هذه الحكومة هي بلورة المبادئ الاسلامية للسياسة التي ينبغي أن تطبق على المجتمعات البشرية في المستقبل و عند ما تتاح لها الفرصة المناسبة. و قد كانت فيها – بلا شك – تجارب و دروس ضرورية لتسير على ضوئها الاجيال القادمة و تنأى بنفسها عن حب الدنيا و تلتزم طريق الاستقامة و التقوى و تتمسك بتطبيق الاحكام الالهية. فالخطب البليغة في وصفه للمفسدين الظالمين و الخوارج و الناكثين و المارقين، و الكلمات القصار التي تنطوي كل واحدة على عالم واسع من المشاعر و الرؤى و تعتبر باجمعها ارثا ثقافيا و دينيا و سياسيا. و قد تكون هي اهم ثمرة انتجتها خلافة امير المؤمنين التي دامت مدة خمس سنوات.

الهوامش:

١. «طبقات الحنابلة لابن ابي يعلى»»، ج ١، ص ٣٢٠، حديث لا يحبّك الّا مؤمن، من الاحاديث المتواترة في فضل امير المؤمنين عليه السلام راجع كتاب «ربيع الابرار»، ج ١، ص ٤٨٨.
٢. «ربيع الأبرار للزمخشري»، ج ١، ص ٤٩٩.
٣. «شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد»، ج ٩، صص ٢٨ و٢٩ و ج ٢٠، ص ٢٩٩؛ «الجمل للشيخ المفيد»، ص ٩٢.
٤. «الغارات»، ج ١، ص ٣٠٧.
٥. «مسند احمد بن حنبل»، ج ١، ص ١٠٠.
٦. المصدر السابق.
٧. «الانساب»، ج ١، ص ٢٣٦؛ المحمودي، «المعيار و الموازنة»، صص ٥٤ و١٣٦؛ «كتاب الفتوح»، ج ٢، ص ٢٦٦.
٨. «وقعة صفين»، ص ٥٢؛ «تاريخ الطبري»، ج ٣، ص ٤٦٠.
٩. اذ إن الاموال و الرجال بالعراق، «الاخبار الطوال»، ص ١٥٣؛ «الفتوح»، ج ٢، ص ٢٦٨.
١٠. «الانساب»، ج ١، ص ١٣٨.
١١. مرق عن الدين اي خرج عنه.
١٢. الخطبة ١٢٠ وفقا لتصنيف «نهج البلاغة»، ص ٥٠١.
١٣. الخطبة ٢٧٥ وفقا لتصنيف «نهج البلاغة»، ص ٣٨٨.
١٤. «التاريخ الكبير للبخاري»، ج ٢، ص ٦٧.
١٥. «الغارات»، ج ١، ص ٤٥.
١٦. «الغارات»، ج ١، ص ٦٧٥، «نهج الصباغة»، ج ١٢، ص ١٩٦.
١٧. «نهج البلاغة»، الخطبة ٢٠٨.
١٨. «الارشاد»، ص ١٣٤، طبع المطبعة الاسلامية.
١٩. «الخطبة»، ١٩٨ وفقا لتصنيف «نهج البلاغة»، ص ٣٧٩؛ «المعيار و الموازنة»، ص ٢٦٦؛ «الغارات»، ج ١، ص ٢٩٦.
٢٠. «عيون الاخبار»، ج ١، ص ١١٠.
٢١. «الغارات»، ج ١، ص ٣٠٧؛ «انساب الاشراف»، ج ١، ص ٢٨١، تحقيق المحمودي، و«نهج البلاغة»، الكتاب ٨١.
٢٢. راجع كتاب «نهج البلاغة»، صص ٤١٩ الى ٤٢٢، ٤٢٦، ٤٢٧؛ «انساب الاشراف، ص ١٧٧.
٢٣. راجع كتاب «تاريخ الاسلام السياسي حتى العام ٤٠ الهجري»، صص ٤٣٠ الى ٤٣٥.
٢٤. «نهج البلاغة لصبحي الصالح»، ص ١٣٦.
٢٥. «الفتوح لابن اعثم»، ج ٢، ص ٢٧٢.
٢٦. الخطبة ٩٥ من «نهج البلاغة»، وفقا لتصنيف «نهج البلاغة»، ص ٣٨٢.

المصدر: «الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام»، رسول جعفريان، دار الحق، ١٤١٤هـ

قيل قد قسمنا الآيات التي تتحدث عن الامامة إلى طوائف عدة نتناولها بالتفصيل و الطائفة الثانية كانت آيات الكتاب و قيل بالتفصيل حولها. حتى وصلنا الى آيات الهداية:
إن الهداية الواردة في القرآن الكريم على انحاء مختلفة:

١. الهداية التكوينية الخلقية

«وَ الَّذِي قَدَّرَ فَهَدى» أي الذي خلق كل شيء، وجعله في صراطه التكويني الذي يؤدي إلى كماله وهدفه، و جعل ذلك في فطرته حتى الكائنات غير الشاعرة غير الارادية.

٢. الهداية التشريعية الارائية العامة

وهي التي تصدر عن النبوات وشرائع الانبياء وهي معلقة على العلم والادراك الذي يستطيع ان يصيبه كل احد.

٣. الهداية الايصالية للفاعل المختار

وهي التي نبحث عنها بالآيات من القسم الاول ويقابلها الاضلال التكويني، وفي القسم الثالث يتضح أن هذه الهداية معلقة على العمل والطاعة «**وَ مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً**»، «**وَ الَّذِينَ جاهَدُوا فِينا لَنَهْدِيَنَّهُمْ**»
فهذه الالسنة الثلاثة تعالج ماهية الامامة، وهي المستبطنة للهداية الايصالية وأما الارائية فتكون تابعة لصاحب الشريعة، ونلاحظ ان القران في مواطن كثيرة يشير إلى أن العمل الصالح له آثار وضعية منها انه يؤدي إلى عمل صالح آخر أكثر من الاول.
يظهر من آية سورة الكهف: ٢٤ أن الهداية على مراتب ودرجات وهي لا تقف عند حد فكلما زاد العمل والسعي زادت الهداية، وما ذلك إلا لأن الكمال لا حد له والقرب الالهي لا يقف عند نقطة معينة، وفي هذا جواب قاطع على العامة الذين يقولون ان الهداية حاصلة بمجرد التلفظ بالشهادتين بل أن قوله تعالى: «**وَ زِدْناهُمْ هُدىً**»[١] وقوله تعالى: «**وَ قُلْ عَسى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هذا رَشَداً**»[٢] دليل على خطئهم.
وتشير آية سورة المائدة إلى تعين الولاية وتشخيص صاحب الهداية الايصالية، مما يعني ان هذا السعي يجب ان يسري عن هذا الطريق ومن هذا الباب.
أن آية سورة طه التي اشرنا إليها في البداية تدل على ان الغفران منوط بالولاية لأنها تشترط الايمان والعمل الصالح والهداية وهو اتباع الهادي.

المفاد التفصيلي للآيات

١. إنما أنت منذر ولكل قوم هاد، في هذه الآية الشريفة موارد للبحث:

أولا: من المقصود بالهاد، فقد ذكر البعض ان المقصود هو الرسول الاكرمﷺ أي انك هاد لكل قوم، و هذا الاحتمال ضعيف لامور منها: ان الحصر بـ «انما» في قبال توهم أن وظيفتهﷺ هي اهتداؤهم بالفعل بتلبية طلبهم بإتيان المعجزة والآية التي يقترحونها.

ومنها: من الجهة الاعرابية حيث سوف يتنازع منذر وهاد الجار والمجرور ولذا لا يجوز توسطها، كما لا يجوز الفصل بين العامل والمعمول بالواو.

ومنها: ان الانذار هداية ارائية فتكون هاد عطف تفسير، وهو خلاف الاصل الاولي في ظهور الكلام في التأسيس.

ومنها: انه لا يكون هناك وجه لتأخير هاد عن الجار والمجرور

ثانيا: أن الهداية ليست الهداية الارائية بل الايصالية و ذلك لعدة وجوه:

١. المقابلة بين الانذار والهداية.

٢. إن الكفار طلبوا من الرسول آية وهي مظهر للقدرة والقدرة مظهر الولاية، و هذا ما يحتاج إلى بيان:

و ذلك لان المدعى أن المعجزة التي تظهر على يد الرسول هو من حيثية ولايته لا رسالته، ويكون جواب طلبهم أنك من حيث الرسالة لا تجري بيدك الآية وإنما ظهور الآية، والمعجزة بيد الهادي ومَن له الهداية الايصالية، والنبي الاكرم حيثياته متعددة ومن هذه الحيثية يكون المعجز على يديه.

٣. إن هذه الهداية جعلت عدلا للنبوة باعتبار أنها تحقق الايمان في الخارج وهو غاية الهداية الارائية فإن الايمان في الخارج متوقف على الهادي.

٤. إن مجيئ أداة العموم (كل) والتنوين في «قوم، هاد» يدل على الاستغراق وأن لكل قوم هاد وحيث أن النبيﷺ محدود العمر و ليس باقٍ في هذه النشأة لجميع الأقوام، فبتكثر الاقوام يتكثر الهادي.

٥. إن سياق الآيات التالية لهذه الآية يدل على العلم اللدني، و أن علم الحق يسع ويحيط بكل شيء وموارد قدرته التكوينية وهو مناسب للهداية التكوينية.

يتبع...

الهوامش:

١. سورة الكهف، الآية ١٣.

٢. المصدر السابق، الآية ٢٤.

المصدر: الشيخ محمّد السند، «الإمامة الإلهية».